الحجاز

هذا الحجاز تأملوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

عام الردّة!: من فضائل الوهابية وتكفيرييها



سعوديون يعتنقون المسيحية!

سدنة الإستبداد ينظّرون للإنتخابات ويخافون منها

السعودية وزمن العراق!



الأماكن المأثورة في المدينة المنورة



التكفير مع سبق الإصرار والتحدّي



وجوه حجازية



حجّة وبيع سُبَح!

النفط السعودي Vs النووي الإيراني



دمشق والرياض: طريق المصالحة مغلق

الفساد في المرتبة الأولى سعودياً



هل يعيد لصوص (اليمامة) مسروقاتهم؟

بين دعاية الأمراء وحقائق الناس

هذا العدد

دولة الديناصورات

ليس عامل السن وحده ما يجعل وصفها بـ (دولة الديناصورات) رغم أنه، أي تقدّم السن، بات اليوم سمة بارزة فيها، ولكن هناك أسباب أخرى تجعل هذه الصفة لصيقة بالحكومة والعائلة المالكة، وهي ما ينعكس على سياساتها ومواقفها أيضاً. فلولا الإمبراطورية المالية التي تتوافر عليها لتكشّفت حقائق مريعة عن كيان لم يعد قادراً حتى عن طرد الذباب عن وجهه.

كل شيء يتحرك بطريقة إعجازية، وتعجيزية.. ولأنه يرى الناس بعين طبعه، كما يقول المثل الشائع، فإن أهل الحكم من آل سعود يعتقدون بأن العالم رتيبٌ، ويعمل وفق أنماط تقليدية وبطيئة. ولذلك، فهم يتعاملون وفق عقلية قديمة متخشّبة، يأمرون فيطاعون لأنهم يملكون سلطة المال، ويكذبون فيُصدَّقون لأنهم يملكون إمبراطورية إعلامية تزيّف الحقائق.

أهل الحكم غائبون عن السمع والبصر من قضايا ساخنة، ويخيّل للمراقب أحياناً أنها لا تشكّل أدنى أهمية في جدول أعمالهم واهتماماتهم. وكنا نعتقد فيما مضى بأن الصمت أداة دبلوماسية سعودية فاعلة، ولكن تبيّن أنها أقرب إلى الطبع لدى أفراد النخبة الحاكمة.

رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو أعلن في ٢١ فبراير عن اعتبار المسجد الإبراهيمي في الخليل ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم ضمن المناطق التراثية (الإسرائيلية). إعلان مثل هذا كان يفترض أن يفجّر غضباً لدى القيادة السياسية السعودية، باعتبار أنها أضفت على موقعها صفة دينية (خادم الحرمين الشريفين)، وكونه تبنت مبادرة سلام مع الدولة العبرية، فضلاً عن المدعيّات الدينية التي أسبغت على الدولة السعودية، التي تضعها أمام مسؤولية إسلامية عامة، لكن جاء وقع الإعلان الاستفزازي الاسرائيلي مثل خبر (اليوم الوطني في توجو)، التي يكلّف الملك نفسه برصد (هذه المناسبة) لبعث رسائل المباركة.

وفيما اكتفت السلطة الفلسطينية بموقف الشجب والاستنكار، فإن حكّام العرب وفي مقدمهم السعودية كانوا يغطّون في أحلام السلام، وبحسب تعليق أحد المراقبين الغاضبين (فأشجعهم من استنكر الحدث واعتبره دليلاً على عدم جدية يهود في السلام، إمعاناً من الحكام في تضليل الأمة..).

بعد أكثر من إسبوع على القرار الإسرائيلي صدر موقف سعودي وديع في استنكاره واحتجاجه، حيث ندّد مجلس الوزراء السعودي برئاسة الملك عبد الله في ٢ مارس بـ (قرار ضم الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم إلى قائمة المواقع التراثية الإسرائيلية). وزاد البيان في عيار الاستنكار بأن دعا المجتمع الدولي (إلى الوقوف بحزم في وجه هذه الممارسات، وإرغام إسرائيل على التخلي عن ذلك، وعن سياسة ضم الأراضي الفلسطينية بالقوة، وتجاهل الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني، وتحدي إرادة المجتمع الدولي في إحلال السلام والاستقرار في المنطقة).

هنيئاً للأمة العربية والإسلامية بموقف سعودي شجاع كهذا، والذي، بكل قطع وتأكيد، سيرغم إسرائيل على الإذعان لإرادة المجتمع الدولي وإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. للعلم والإنصاف المريع، لم تتوقف الشجاعة السعودية عند هذا الحد، بل إن إجتماع وزراء الخارجية العرب في بالقاهرة في الثالث من مارس الجاري أسفر عن تحذير للولايات المتحدة والمجتمع الدولي بأن العرب حدّدوا مهلة ستة شهور لاستئناف مفاوضات غير مباشرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وفي ذلك يكون العرب قد وضعوا المجتمع الدولي أمام مسؤوليته التاريخية والأخلاقية.. والحضارية.

الاسرائيليون من جانبهم، وضعوا في بطونهم (بطيخه صيفي) بالتعبير البلدي المصري، ولم يعد يحرّك لا وزراء العرب ولا قادته شعرة في جفونهم في مقابل تصريحات يدركون سلفاً بأنها لا تساوي الحبر الذي تكتب به. يتمتم الإسرائيليون فيما بينهم إن عصر الديناصورات قد انتهى، وليصرخ هؤلاء في شبابيك الهواء، فلن يتغيّر على الأرض إلا ما يقرره هم.

وبات من المفارقات غير المدهشة على الإطلاق: كلما ازداد العرب ليونة ازدادت الدولة العبرية تشدّداً وتعنّتاً، حتى صار العرب يناشدونها القبول بالمبادرة العربية للسلام بأدنى الشروط، وهي تقول لهم ضعوا المبادرة أينما شئتم، فوق الطاولة أو تحتها، فالسلام لم يعد مقابل الأرض ولا مقابل السلام بل مقابل سلالاتكم الحاكمة فحسب. فإن شئتم البقاء على الكراسي، فامضوا إلى السلام وإلا فاشربوا من أي نهر جف ماؤه في بلدانكم، وسنرمي بكم إلى البحر.

وإذا كان حال السعودية التي تتزّعم معسكر الاعتدال هكذا بكل الديناصورية الجاثمة على سياستها، فمن غباء الإسرائيليين أن يتنازلوا عما اغتصبوه أمام مرأى المجتمع الدولي، النزيه والعادل حتى أخمص القدمين..فمن أجل موقف شجب استغرقت العملية لدى السعودية أكثر من أسبوع، فكيف بها إن أرادت تحريك جيوشها دفاعاً عن أراضيها..يذكرنا هذا بما حدث بعد احتلال قوات صدام حسين الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠، حيث التزمت السعودية الصمت ثلاثة أيام، فلم يرد خبر الاحتلال في أي من نشرات الأخبار الرسمية، رغم أن القيادة السياسية بدولة الكويت بل وغالبية الشعب الكويتي باتوا خارج الحدود، وحين وصلت القوات الأميركية على شواطىء ديارنا أطلق الملك فهد تصريحاً نارياً (لن تكون المملكة لقمة سائغة).

والديناصور بالديناصور يُذكر، تروج وسط موظفي الخارجية السعودية شفرة خاصة بالأمير سعود الفيصل، فإذا تداولوا أنباءه استعملوا الشفرة: جاء الديناصور، وراح الديناصور، غاب الديناصور (تصلح كلمات بألحان وأداء شعبان عبد الرحيم).

وبمناسبة الإعلان عن صناعة (تقال تجاوزاً) سيارة وطنية في المملكة بإسم (غزال) نقترح تبديل الإسم الى (ديناصور) ليكون منسجماً مع المشهد العام للدولة وللعائلة المالكة.

من فضائل الوهابية!

سعوديون يعتنقون المسيحيّة

محمد الأنصاري

الأخبار التي تمَ تداولها مؤخراً حول اعتناق (عشرات) الطلاب من السعوديين المبتعثين الى الولايات المتحدة للديانة المسيحية، سبّبت صدمة لدى الكثير من المواطنين، وتداولتها العديد من المنتديات الأخبارية المحلية والعربية باستغراب، ملقية اللائمة على الآباء والحكومة وضعف التديّن لدى الشباب أنفسهم.

ومع أن مثل هذه الأخبار طفحت على السطح بكثرة في السنوات الأخيرة، فإنه يصعب تقصّيها، خاصة وأن اعتناق ديانة ما ليس شأناً عاماً، ولا هو مطروح للنقاش، ولا يعني إلاّ صاحب العلاقة، الذي قد يكشف عن تحوّله الديني، أو يعمّي عليه، خشية البطش، أو المضايقات الإجتماعية، أو حتى القتل.

لقد تناهى الينا العديد من الأخبار، لا يمكن الجزم بصحّتها جميعاً، بعضها يقول بأن فتيات سعوديات اعتنقن المسيحية، وبعضها يقول بأن الممثل أو المغني الفلاني غيّر دينه، والآن يتم الحديث بشكل مكثّف عن (ارتداد ديني) بين الطلبة السعوديين المبتعثين، وبأعداد غير اعتيادية بمقاييس بلد مثل السعودية.

السعودية وخلال السنوات الخمس الماضية أرسلت عشرات الآلاف من الطلبة للدراسة في الخارج، وقد جاء ذلك بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وفي وقت كانت هناك وفرة مالية تحصلت عليها الحكومة من مردودات النفط، فضلاً عن أن السعودية بعد أحداث سبتمبر أرادت استرضاء الغرب بشكل عام، لاستعادة ما سمّاه كيسنجر بأموال البترودولار، فكان الإبتعاث واحداً من السبل، وقد جرى النقاش بشأنه بين بوش وولي العهد يومها - الملك حالياً - عبدالله.

أعداد المبتعثين يبلغ حالياً نحو ٦٥ ألف شخص، معظمهم من الشباب، ذكوراً وإناثاً، كما أن معظمهم غير متزوجين، وقد أرسل هؤلاء الى العديد من العواصم الأوروبية والولايات الأميركية، واستراليا، ونيوزيلاندا، فضلاً عن بلدان عربية كمصر، واسلامية مثل الباكستان والهند، وغيرها.

مشايخ الوهابية كانوا دائماً ضد الإبتعاث، وحذّروا من تعريض الشباب الى امتحانات صعبة، والآباء والأمهات من ترك أبنائهم في الخارج دون رعاية، ولا ننسى أن التراث الوهابي في معظمه يحرّم السفر الى ما يسمونه بـ (البلاد الكفرية). كانت خشية مشايخ الوهابية من تغيّر سلوك الشباب، ولم يكن يدر بخلدهم أن التغيّر يمكن أن يشمل المعتقد الديني بشكل شامل.

لا أحد درس أسباب حدوث تحوّل المعتقد لدى الشباب السعودي. الى أي مذهب إسلامي كانوا ينتمون، والى أي منطقة يعودون، ومن أي شريحة إقتصادية قد أتوا، والى أيّ مؤثرات تعرّضوا، وهل كان تحوّلهم اعتقاداً بأفضلية دينية، أم لأهداف مصلحية، أم ردّة فعل أم ماذا؟

السؤال الأكثر إلحاحاً هو: كيف يمكن أن يحدث تحوّل عقدي في مجتمع مغلق، مؤطر دينياً وعقدياً لعشرات السنين، تشبّع وبجرعات زائدة وعلى مدار قرن كامل بالقضايا الدينية والمعارك الدينية العقدية والطائفية، فضلاً عن أن حكومته تزعم بأنها الوحيدة بين العالم التي تطبّق الشريعة، وأن أرضه تحتضن أقدس مقدّسات المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة؟!

الجواب يكمن في السؤال ذاته.

المجتمع السعودي اليوم ليس مجتمعاً دينياً، بل يمكن القول أنه ليس فقط أقلّ المجتمعات العربية والإسلامية التزاماً بالإسلام، بل هو - في ظنّنا - أدناها مرتبة.

وهو اليوم، حسب معرفتنا الدقيقة له، مجتمع طائفي متصارع داخلياً ويصدر صراعاته الطائفية الى الخارج، ولكنه ليس مجتمعاً دينياً يحتكم الى المعايير والقيم الدينية. بمعنى أن غيرته التي تظهر في بعض القضايا السياسية، الإسلامية والعربية (خاصة في نجد الوهابية بالتحديد، والتي تتحكم بالمؤسسة الدينية) هي غيرة طائفية، وليست دينية، أي أن المحرّك طائفي، حتى في موضوع مثل (الرسوم المهينة للرسول صلى الله عليه وسلم). فبعض مشايخ الوهابية تحمّس للدفاع عن النبي وعرضه، مستبطناً الدفاع عن المذهب الوهابي، وحتى لا يقال بأن العالم الإسلامي غضب من تلك الرسوم، في حين أن مشايخ الوهابية صمتوا.

ونقول أكثر من هذا، فإن ظاهرة التديّن في السعودية، وتحديداً في محيط المدرسة الوهابية المتحكّمة، إنما هي في كثير أو قليل منها (ظاهرة نفاقية نفعية) لا يعضدها الفعل، بل لقلقة لسان. في السعودية تسمع الكثير عن الدين الصحيح، والإسلام الصحيح، وتصدح عشرات الآلاف من المآذن بالأذان والصلوات؛ وتغطي البرامج الدينية مساحة واسعة من الإعلام الرسمي المقروء والمسموع والمرئي.. لكن أثر ذلك على سلوك الأفراد، قليل جداً. إن الحياة الدينية الطاغية في قمعها، خلقت شخصيات منافقة مزدوجة الشخصية: ففي الظاهر تسمع عبارات التدين، وتجد في كثير من الأحيان سواسية سلوك مفروضة؛ ولكن ما أن يختلي المرء بنفسه في بيته وبين الجدران الأربعة ترى نقيضاً في الممارسة والمعتقد مما لا يمت الى الإسلام بصلة. وهذا، قد يفسّر في جانب كبير منه سلوك

السعوديين في الخارج، الذين ينغمسون في الملذات والشهوات الى أبعد الحدود، وبشكل مقزّز. ولك أن تعجب للمفارقة بين سمعة السعودية كدولة إسلامية، منحتها الأماكن المقدسة صورة حسنة عنها، في حين أن سمعة الأفراد (كسعوديين) بائسة كأشخاص غير متدينيين.

وفي الوقت الذي نمت وتنمو فيه الظاهرة الدينية في معظم بلدان العالم الإسلامي، بل وحتى بين المسلمين المقيمين في الخارج، فإنك تجد أن ظاهرة التديّن الى انحلال في معقلها النجدي، حيث توجد الوهابية، وحيث سلطتها القاهرة.

زد على هذا، فإن ظاهرة الإلحاد اللفظي المتضاد مع الدين، بل مع الله، وكذلك ظاهرة الروايات الجنسية الفاقعة التي تصدر من السعودية، قد طغت في السنوات الأخيرة في السعودية، مما لا يوجد له مثيل حجماً وعنفاً في أي بلد عربي آخر، ما يدلّ على ردّة حادة ضدّ كل ما له علاقة بالله والدين.

هذا التوصيف الذي نقوله معنيّ به بالدرجة الأساس، النجديون، المحتضنون للوهابية كمعتقد وكهوية، ممن هم يحكمون البلاد، وينتفعون بخيراتها ومناصبها، والذين تتحدّر المؤسسة الدينية الوهابية منهم، وهم يشملون نحو ربع السكان.

نستطيع القول بأن الوهابية، أخرجت الناس (النجديين بشكل خاص) من دين الله أفواجا! عبر التكفير، أو عبر التشدد الذي أفضى بالأجيال الجديدة ـ وكرد فعل ـ الى رفض النسخة الدينية الوهابية، بل وأحياناً كل النسخ الدينية الأخرى، واعتناق النقيض: المسيحية، أو الإلحاد المكشوف، ويكفي أن نلقي نظرة على موقع منتدياتنا السعودي، الذي يقوم عليه طاقم نجدي ممالئ للعائلة المالكة، ويكتب فيه من يسمون أنفسهم ليبراليون أو علمانيون، لنكتشف حجم الردّة عن التراث الديني الوهابي وعن الدين بشكل عام (وإن لم تكن هناك ردّة عن الطائفية!).

الوهابيّة، وفي تاريخها القديم والحديث، خرّجت صنفين غير سويّين من الناس: متطرفين عنفيين مكفراتية، وهذا أغلب منتجها، مثل القاعدة وقبلها جهيمان وجماعته، وأضرابهم من المشايخ المكفراتية لكل البشر بمن فيهم المواطنين. القسم الثاني الذي خرجته الوهابية كرد فعل: الملاحدة والمارقين من الدين، ودعاة الفحش والجنس المفتوح!

معظم رواد كلا القسمين هم من النجديين الوهابيين، بحيث ان المراقب يجد القسمين منفصلين بشكل شبه تام، في المجتمع النجدي.

عدد من المشايخ وطلبة العلم والحركيين الوهابيين طلّقوا الدين أساساً، وهناك أسماء عديدة لا نرى ضرورة ذكرها، خرجت على السطح في السنوات العشر الماضية، كرد فعل على الجهاز الديني الرسمي والحركي القاعدي. ومثل هذه الردّة ليست جديدة في تاريخ الوهابية، فقد ظهر بين أظهرها الملحد العربي الأكبر عبدالله القصيمي، الذي كان شيخاً ثم تحوّل الى داعية الحاد، بل الى مدافع صريح عن الشيطان!

في سنيّه الأولى، كان طبع القصيمي حادًا تكفيرياً صارخاً في حماسته، معتدًا بالمنتج الوهابي يكفر بقيّة المسلمين.

لقد ألّف مجلدين ضد الشيعة، وكتب ضد الأزهر، وضد كل جهة، من بين كتبه: (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية، القاهرة ١٩٣١؛ الفصل الحاسم بين الوهابية ومخالفيهم، القاهرة ١٩٣٦؛ الصراع بين الإسلام والوثنية، في مجلدين، القاهرة ١٩٣٧؛ شيوخ الأزهر؛ مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها ـ وهو كتاب يرد فيه على الملاحدة؛ نقد كتاب حياة محمد، وغيرها من الكتب). ومن بين كتبه بعد أن أصبح ملحداً: (هذه الأغلال، القاهرة ١٩٤٦؛ العالم ليس عقلاً، بيروت ١٩٦٣؛ أيها العار إن المجد لك، بيروت ١٩٧١؛ الكون يحاكم الإله، باريس ١٩٧٧؛ العرب ظاهرة صوتية، بيروت ١٩٧٧؛ الإنسان يعصي لهذا يصنع الحضارة، بيروت ١٩٧٣، وغيرها).

تطرف العقيدة الوهابية، وضغوطها الإجتماعية الحادّة، بل خنقها للمجتمع بكافة السبل، وتضييقها للحلال برؤى متشددة وفتاوى استئصالية عنفية، أدّى الى ردود فعل متنوّعة، واحد من ردود الفعل: ترك الدين والتدين أصلاً، وواحد منها اعتناق النقيض: الإلحاد، أو اعتناق دين غير الإسلام؛ وواحد منها الترويج وممارسة النقيض الفاضح أخلاقياً ونشره على الملأ كتابة أو عبر اليوتيوب أو في المنتديات. كل ما هو صارخ في مواجهة الدين تجده في السعودية، وخاصة بين الوهابيين النجديين. بل قد تجد وسائل إعلام رسمية أو شبه رسمية متحفّزة الى نشره وتسليط الضوء عليه كما أية ظواهر غريبة، كما هو الحال مع قناة العربية وموقعها، وكما هو الحال مع إيلاف وأضرابها.

يمكن القول بأن الوهابية تتحمّل الوزر الأكبر في خروج معتنقيها والمبتلين بها عن دائرة الإسلام، فهي لم تقدّم لهم إسلاماً، بل قيوداً ثقل حملها، فتم إلقاؤها كلّها في اليم!

الوهابية ومن ورائها آل سعود، لم يصنعوا لنا مجتمعاً سويّاً، بل مجتمعاً مريضاً بعاهات تحتاج الى عقود، والى أجيال جديدة، حتى تتعافى مما أتت به. ليس أسوأ من عنف الوهابية، سوى تشويه الإسلام، ودفع الأجيال الجديدة لتقف نقيضاً له أو للتفسيرات التي أتت بها الوهابية له.

وبهذا، فإن الوهابية ونسختها المزوّرة للدين، وفرضها على الناس بالقوة، واعتماد لغة العنف والتكفير، وخنق المجتمع عبر تحويل الحلال والمباح الى خانة المحرمات وفرضها بعصا الدولة، وشقّ المجتمع طائفياً، ومنع الإصلاح مدعوماً بمصالح آل سعود، وفساد المشايخ مادياً، بل وانحلال بعضهم أخلاقياً... كل هذا كان سينتج النقيض له. وأحد النقائض: التحول عن دين الإسلام الى المسيحية. ونظنّ ـ مجرد ظن ـ أن معظم المبتعثين المتحولين الى النصرانية هم من النجديين، أي من محيط الوهابية الإجتماعي ومقرّها العقدي.

والشيء بالشيء يذكر، فإن ارتداد بعض المغاربة الى المسيحية بعد أحداث ٩/١١، وموجة العنف الوهابي التي ضربت أصقاعاً متعددة في العالم العربي والإسلامي، لهو دليل آخر، بأن الوهابية تنتج نقيضها تماماً، فأصبحت أداة إفساد وإخراج من الملّة.

وقف الحجاج في رحلة صيد على خباء إعرابي كان يقرأ القرآن: (إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا...). ردّ الحجاج، وهو مدرّس قرآن سابق قبل أن يوغل في الدماء من أجل السلطان: (بل يدخلون)! هنا التفت اليه الإعرابي وقال: (بل يخرجون، منذ أن توليتهم أنت وأمثالك)!

إعجاب بالتجربة العراقية وخوف منها

السعودية.. وزمن العراق!

عبدالحميد قدس

(عسى أن يكون العراق بوابة العبور لشعوب هذه المنطقة الى عالم النور والحداثة السياسية والمجتمعية، من يدري، فالنور يأتي من مجاهيل الفضاء)(زمن العراق، مشاري الذايدي، الشرق الأوسط، ٢٠١٠/٣/٩).

تنبّه عبدالرحمن الراشد، مدير قناة العربية، ورئيس تحرير الشرق الأوسط السابق، الى حقيقة أن التجربة الديمقراطية العراقية، والتي عكستها الإنتخابات العراقية مؤخراً، قد حصدت إعجاباً منقطع النظير، من قبل الأغلبية الساحقة من المراقبين لتلك الإنتخابات، ومن قبل السياسيين الذين راقبوا شفافيتها من بعد، خاصة أولئك العرب الذين اعتادوا على انتخابات التزوير، وعلى سواطير الأنظمة التي تمنع الناخبين من الإنتخاب، وعلى تزوير الإنتخابات ولو بجلب أسماء الموتى الى القوائم الإنتخابية، وهي حالات شهدتها (مصر) جميعها في الإنتخابات التشريعية الأخيرة!

الحدث العراقي مدهش في تحولاته، ونضج الشعب العراقي ديمقراطياً (وإن كان غير ثابت تماماً) حيّر حتى قادته، فضلاً عن أولئك العرب الذين خنقهم الإستبداد العربي الأصيل في شرانقه!، الذين هلوس الكثير منهم طائفياً، مفضلين العيش تحت كنف المستبدين.

لكن الراشد ـ آنف الذكر ـ والذي كتب مقالات سابقة على موعد إجراء الإنتخابات العراقية، ممتدحاً التحوّل بصورة او بأخرى، وخاصة في البعد عن الفئوية الطائفية، أبدى رأياً مخالفاً لما كتبه من قبل، ونشر مقالته (هل ديمقراطية العراق معدية) في نفس يوم مقالة الذايدي (زمن العراق)!

زمن العراق، يعني زمن الإنتخابات والحرية والتطلّع الى الحداثة. إنه يعني امتداد التجربة لتلقي بتأثيراتها على جيرانها.

وعدوى العراق، تعني الخوف منه، لا من عنفه، ولكن من حرياته. إنها ـ مقالة الراشد ـ سلبيّة تمجّد لحكم الفرد، في إسقاطه على الوضع السعودي، وكأن ما جرى في العراق من انتخابات نذير شؤم للحكم السعودي وأضرابه مثل حكم مصر شبه الميّت. هذا هو الهاجس السعودي الذي بدأ بسقوط نظام صدّام، فبُعث حيّاً في التجربة الأخيرة.

لكن السعوديين من الكتاب، مثل الراشد وغيره، والذين اعتادوا الفتوى في الشأن الديمقراطي، والسخرية من الإنتخابات في بلدان أخرى (خاصة إيران) يوحون للقارئ، وكأن بلدهم (السعودية/ أو مصر/ أو غيرها) تعيش واحة ديمقراطية عريقة تتضاءل أمامها تجربة العراق، أو على الأقل كأنهم ـ أي الكتاب والصحافيون ـ يؤمنون بالمثل الديمقراطية، والتغيير، والحداثة، وكل مفردات المشاركة الشعبية، وأنهم بسبب التصاقهم بتلك المعايير الديمقراطية، يستصغرون التجربة العراقية!

كلا.. عبدالرحمن الراشد ليس هكذا، فلا بلده ـ السعودية ـ نموذج الدولة الديمقراطية، بل هي في قعر التجارب العربية، بل في قعر تجارب العالم الثالث كافة. وهو ـ أي الراشد ـ لا يؤمن أصلاً بالديمقراطية في بلده، مثلما لا يؤمن بها أسياده من الأمراء. لهذا كانت مقالته المتخمّرة والتي نشرت في ٢٠١٠/٣/٩ عن عدوى الإنتخابات العراقية، فاضحة لمبادئه، كما هي فاضحة في كشف المكنون السعودي الذي دمّر العراق تخريباً حتى لا تقوم للديمقراطية فيه قائمة (لا علاقة بما فعلته السعودية في العراق من تمويل العنف بموضوع الإحتلال الأميركي، وهي التي ساعدته في إنجاز مهمته، كما لا علاقة لموقفها بالمحاصصة الطائفية في العراق، لأن النظام السعودي في صميمه ومظهره طائفي هو الآخر، ولكنه لا يحاصص بل محتكر لأقلية، أي أنه أشدّ سوءً).

مدهش عبدالرحمن الراشد في جرأته. فاشل في تطمين جماعته من أن الديمقراطية العراقية (ليست معدية) لهم. بل هو يرى أن حكم الإستبداد أكثر إغراءً، وهو فيروس المرض الحقيقي الذي يعدي الديمقراطية ويدمّرها: (هل ديمقراطية العراق معدية؟ لا، أبداً، العكس هو الصحيح. فالنظام الفردي أكثر جاذبية وفعالية وقدرة على اختراق العقول والحدود، وهو اليوم المهيمن في المنطقة. إذن فلا خوف من انتخابات العراق، على الرغم من أن نسبة المصوتين تجاوزت الستين في المائة من المؤهلين للتصويت، وهي نسبة عالية جداً).

النظام الفردي أكثر جاذبية!؛ أي أن الديكتاتورية والإستبداد أكثر جذباً للجمهور! أي أن شعوبنا مشوّهة حقّاً فترى المستبدّ أفضل من الديمقراطي. لم يعلمنا الراشد سرّ جاذبية الحكم الفردي (المستبد والطاغي) سواء في السعودية أو في غيرها، كما لا نعلم كيف قرّر زعمه وعلى أي أساس.

الإجابة عن هذا ليس غرض الكاتب من مقالته، إنما غرضه طمأنة دعاة الإستبداد من الأمراء السعوديين، ومن يعيش على موائدهم، وحثهم على الإستمرار في نهج ومسلك الطغيان والفساد الذي هم عليه. فالديمقراطية بعيدة، فالعبوا واهنأوا، إذ لديكم شعوب، أو شعب يفضل حكمكم وأشخاصكم على أن ينتخب من يريد. إقرأ للراشد قوله: (لهذا أرجو من الجميع ألا يهلعوا من مناظر الاقتراع وجحافل المصوتين، وإعلانات المرشحين، وبيانات التغيير الانتخابية، وسقوط وصعود القوى المحلية بيد المواطنين. هذه احتفالية استثنائية لن تتكرر في المنطقة)!

لن تتكرر!

حسنٌ لن تتكرر!

التبشير ببقاء الإستبداد، والقبض على بعض الآمال المتلصصة التي حركتها مشاهد الإنتخابات العراقية الحيّة على معظم شاشات تلفزة العالم، هدفٌ آخر من وراء المقالة، فبدل أن يبعث الكاتب الأمل بالتغيير والإصلاح في بلد منكوب كالسعودية أو كمصر، يأتي لهم إما ليقول لهم: (أنتم شعب غير!!) أو أن (الشعب العراقي غير!!).. فـ (مالكم إلا هيفاء/ آل سعود!).

لكن الراشد، ولحسن الحظ، يعترف بأن الدول العربية وفي مقدمها السعودية (دون أن يسمّها) كانت وراء العنف في العراق، وأنها ضد الديمقراطية المخيفة والمكروهة والتي يتفق الحكام العرب (مصر والسعودية بنحو خاص) على مقاتلتها. هنيئاً لكم ذلك. لنقرأ الراشد: (من قرأ الحدث العراقي في السنوات الست الماضية يدرك أن معظم العنف الذي أصاب العراق تم تصديره من الخارج، من الجوار، لهذا السبب بعينه ـ يقصد الإنتخابات الديمقراطية ـ، وليس محاربة للاحتلال العسكري الأميركي أو كرها في القيادات

السياسية العراقية. فكرة فرض الديمقراطية مسألة مخيفة ومكروهة، وهناك إجماع إقليمي على مقاتلتها). ويضيف: (لا أعتقد أن دول المنطقة تهتم كثيرا بإسقاطها ـ يقصد التجربة الإنتخابية العراقية ـ بعد أن أثبتت أنها قادرة على تخريبها، وكلفت راعيتها الكثير من الدم والدولارات)!

وبالطبع فإن الراشد لا يشذّ عن (الإجماع العربي)! خاصة (الإجماع داخل آل سعود). وإن الدم العراقي الذي سال طيلة السنوات الماضية بمسميات طائفية ودعم للقاعدة والبعثيين، لم يكن يستهدف أكثر من إجهاض التجربة وتخريبها.

ويقول الراشد أخيراً، بأن العراقيين يرتعبون حين يقال لهم اخرجوا للتصويت غداً!

ماذا سيقول المواطن السعودي إذا قيل له إنتخب غداً مرشحك بل حاكمك أيضاً؟!

أقطع، بأنه سيطير من الفرح! كما فعل الشعب العراقي في عرسين انتخابيين. لكن هل يجرؤ آل سعود على القيام بذلك، بدل أن يتغنّوا لنا بأن الشعب المسعود بدوي جاهل فرداني أناني غير متحضر ولا يقبل بالإنتخابات؟

إعجاب بالتجربة العراقية وخوف منها

لم تكن وسائل الإعلام السعودية الخارجية قادرة ـ أو راغبة أيضاً ـ في معاكسة الإعلام العالمي الجارف المتابع بحيوية للإنتخابات العراقية، والمهتم بأخذ آراء المراقبين الدوليين والمحليين، ومتابعة الأيام الأخيرة للحملات الإنتخابية. يومها كتب عبدالرحمن الراشد، وقبل ثمانية أيام من الإنتخابات العراقية، وبالتحديد في ٢٨/٣/٢٠١٠، مقالاً تحت عنوان (ضجيج الإنتخابات العراقية) رأى فيها أن الإنتخابات حاسمة إما لتكون بداية تاريخ جديد للعراق، أو أن تكون الأخيرة في تاريخه! في المقالة إشارة الى تراجع التأثير الأميركي على العراقيين، خاصة وأن القوات الأميركية ستبدأ في الإنسحاب، واعتبر ذلك تطوراً من جهة تعزيز قوة الدولة العراقية، وإن كانت هناك خشية من أن تشغل ايران الفراغ الأميركي. أيضاً في المقالة إشارة الى أن (الإنتخابات تؤذن بتاريخ جديد) رغم الصعاب التي عددها والأسئلة التي طرحها الراشد، لكنه خلص الى نتيجة: (علينا ألا نقلل من التطور الذي ظهر في المجتمع العراقي، فالإنخراط الشعبي الهائل في النشاط الإنتخابي والمشاركة الشعبية لن يكون سهلاً إلغاؤهما، كما أننا رأينا تطوراً حقيقياً في مهارات البرلمانيين، والعاملين عموماً في الساحة السياسية، وقدرة على التعايش والإنخراط والأداء النيابي الجيد) وأمل (ربما تجربة السنوات الصعبة الماضية ستعين العراق على تجاوز محنة السنوات الأربع المقبلة. إن النجاح الإنتخابي مهما كانت القيادة التي تفوز بأغلبية الأصوات، يعطي أملاً في أن يكون القارب الذي يحمل البلاد الى اليابسة، ويعبر بها بسلام من الإعصار المقبل).

في مقالته التالية التي نشرت يوم الإنتخابات العراقية ٧/٣/٢٠١٠، جاءت تحت عنوان: (سنّة على شيعة على علمانيين) وهو يحكي خروج العراق من دائرة الإستقطاب الطائفي، وقدّم الراشد نماذج مدهشة في كل الكيانات التي ضمّت تنوعاً غير طائفي، اعتبر أنها (تظهر بوضوح طبيعة التطور السياسي الذي حصل في الساحة السياسية العراقية) وهو (تطور طبيعي وضروري وصحي لو سمح له أن ينمو من دون تدخل عسكري أو تعطيل أو تزوير هائل).

بعدها يقرر الراشد حقيقة أن (الديمقراطية مفيدة لبلد متعدد الإثنيات والمذاهب مثل العراق. المصالح، لا المذاهب، هي التي تجمع المواطنين، حاجاتهم والخدمات المحلية وتحسين معيشتهم وتوفير الأمن لهم أهم لهم من الشارات التاريخية أو الدينية. ولا نريد أن نقول، حتى الآن، إن المواطن العراقي نضج سياسيا، إلا بعد أن نرى تاريخا من الممارسة... لكننا نستطيع أن نلاحظ أن تجربته الثانية تتم اليوم بامتياز، من خلال لوائح المرشحين والبرامج الانتخابية ولغة الخطاب السياسي. تطور يستحق العراقيون أن نهنئهم عليه).

لكن هذه الديمقراطية المفيدة في بلد متنوّع أثنياً، أو طائفياً، لماذا لا تنسحب على السعودية مثلاً، فالسعودية ليست دولة واحدية الثقافة والمذهب والمنطق والقبيلة ما يجعلها تشبه الأثنيات المغلقة على نفسها.. إنها بلد الأقليات؟ ولماذا الديمقراطية غير مفيدة في مصر، حيث التنوع الديني، ولماذا هي ليست مفيدة في سوريا وغيرها حيث التنوع العرقي والمذهبي؟ لا يمكن حصر التجربة العراقية في محيطها، وما دام ثبتت فائدتها في حل المعضلات الطائفية، فلماذا تصبح مخيفة مكروهة ومعدية في بلدان أخرى تتشابه في النسيج الإجتماعي؟

كانت مقالة الراشد هذه والتي سبقت عدوى الديمقراطية العراقية، تقول بأنه: (لا يوجد مبرر للقلق اليوم ممن يفوز أو يخسر، فإن كل الائتلافات والأحزاب، بأسمائها وبرامجها، تستحق أن تتبوأ المنصب القيادي الذي هو محل السباق اليوم. وإذا كان هناك من سبب للتخوف، فهو التنازع الإقليمي على العراق، حتى بعد ظهور النتائج). ونصح بطريقة مهذّبة تلك الدول العربية (السعودية في مقدمها كونها الوحيدة في المشرق العربي التي لم تفتتح لها سفارة في بغداد) التي



أحكمت الحصار السياسي على العراق بـ (أن تتقبل دول الإقليم حقيقة أن العراق في طريقه إلى الاستقلال الكامل، وأن العراقيين نضجوا سياسياً، ومن مصلحة الجميع التعامل معه بناء على ذلك، لا اعتباره جمهورية موز يخوف بالإرهاب، أو يبتز بالعواطف الدينية، أو الجوائز المالية).

القراءة هذه تفيد بأن عبدالرحمن الراشد ـ والذي يمثل الرأي الرسمي في كثير مما يكتب ـ كان معجباً بالتجربة العراقية حتى انتهاء الإنتخابات.. على أن تبقى في محيطها العراقي، لا أن تنتقل عدواها الإيجابية الى البلد الوحيد الذي لا تجربة ديمقراطية له بين كل جيران العراق وفي كل الدول العربية، وهي السعودية (الدولة الوحيدة التي لا يوجد بها انتخابات تشريعية، صحيحة كانت أم مزورة، ولا انتخابات مناطق/ محافظات، ولا انتخابات بلدية/ جرّبت مرّة ثم جمّدت)!

من هنا انقلب الإعجاب الى خوف من التجربة.

المال السياسي والاعلام والعنف

سدنة الإستبداد السعودي ينظّرون للانتخابات العراقية

يحي مفتي

أسوأ مشهد يمكن للمرء أن يراه في العملية الديمقراطية أن تستمع لسدنة الاستبداد وهم ينظّرون في الديمقراطية ويعطون دروساً في نزاهة الانتخابات، هذا ما يفعله بعض الكتّاب السعوديين مثل عبد الرحمن الراشد وهو يكتب عن (ضجيج الانتخابات العراقية) في ٢٨ فبراير الماضي، أو المقالات الباعثة على الشفقة والإعياء التي يكتبها طارق الحميد عن العراق. والأكثر سوءاً أن تجنّد دول مستبدة فرق مراقبة لسير العملية الانتخابية في العراق، وما هو أسوأ من ذلك كله أن يتدخل المال الانتخابي السعودي لشراء أصوات الناخبين وتزوير إرادة الشعب العراقي في لحظة حاسمة.

ومنذ بدأ العد العكسي لموعد الإنتخابات البرلمانية العراقية في السابع من مارس، وانطلاق الحملات الدعائية للمرشّحين، تأهبّت بعض الدول المجاورة للعراق لاستغلال فرصة الانتخابات لتحقيق مآربها السياسية الخاصة عن طريق تزوير إرادة الناخب العراقي بعد أن عجزت عن تخريب العملية السياسية. بمعنى آخر، أرادت أن تحصل عن طريق صناديق الإقتراع ما لم تستطع الحصول عليه عن طريق المفخّخات، والأحزمة الناسفة.

السعودية كانت من أبرز دول الجوار العراقي التي سهّلت مهمة إحتلال العراق من قبل القوات الأميركية في إبريل ٢٠٠٣، ولكنّها رفضت سير العملية السياسية لأنها أنتجت قوى غير متحالفة معها، وعملت طيلة السنوات الماضية على خطّين رئيسيين: خط العنف بتمويل الجماعات الإرهابية وتشجيع عناصر القاعدة لنقل عملياتها من داخل السعودية الى العراق، وخط الحصار والمقاطعة حيث رفضت التعامل مع الحكومة العراقية وامتنعت حتى عن مجرد إعادة فتح سفارتها في بغداد.

أدركت السعودية على مدى السنوات الماضية بأنها غير قادرة على تغيير الخارطة السياسية، ولذلك اكتفت بمقاطعة الحكومة العراقية من جهة، والتخطيط مع أطراف عراقية على غير وفاق مع حكومة المالكي للقيام بكل ما من شأنه إقناع المواطن العراقي بفشل الحكومة العراقية في النهوض بقضايا الأمن والأوضاع المعيشية والإعمار من خلال تشجيع عمليات العنف وتمويلها، وتضخيم حالات الفساد في مؤسسات الدولة، أو حتى فبركة قصص عن مسؤولين في الحكومة العراقية.

حققت السعودية وبعض حلفائها في الداخل العراقية نجاحات نسبية ولكنها لم تصل الى حد إفشال العملية السياسية، ولم يعد هناك من فرصة سانحة سوى العملية الانتخابية التي يمكن من خلالها تعطيل مفاعيل التجربة الديمقراطية العراقية، وصد تداعياتها الخارجية. وتكفّل رئيس جهاز الاستخبارات العامة الأمير مقرن بن عبد العزيز بملف الانتخابات العراقية بالتعاون مع أطراف عراقية باتت معروفة ومنها رئيس وزير العراق الأسبق إياد علاوي، ونائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي، وبعض الشخصيات العراقية الصغيرة مثل رئيس قائمة أحرار إياد جمال الدين وغيرهم.

من نافلة القول، عمل الأمير مقرن مع إياد علاوي طيلة سنوات خلت على تنسيق الجهود من أجل تخريب إحداث فوضى عارمة في الداخل العراقي، وقد تكشّفت لدى أجهزة الأمن العراقية أدلة على ضلوع مقرن ـ علاوي في حوادث مثل الزرقه في مدينة النجف جنوب العراق، والتي كانت تستهدف إيقاع أكبر عدد من الضحايا في عملية أمنية تم التخطيط لها بعناية فائقة، ورصدت لها مبالغ طائلة، ولكن العملية أخفقت بعد أن نجح الأمن العراقي في المدينة في الكشف عن خيوطها الأولى، وتدخّلت قوات عراقية بأعداد كبيرة لاحقاً لإحباط مخططها. وتكررت المحاولات في مناطق أخرى مثل البصرة والناصرية قبل أن يصرف النظر عنها بعد أن تكشّفت خيوطها قبل بلوغها مرحلة التنفيذ.

تحذيرات المسؤولين العراقيين والكيانات المشاركة في الانتخاب من دور المال السياسي في تزوير إرادة الناخبين كانت موجّهة الى الحكومة السعودية

في العملية الانتخابية الأخيرة، بدا لافتاً أن الحكومة السعودية سعت وبصورة علنية، على خلاف كل الدول العربية والأجنبية، من أجل دعم كيانات سياسية محدّدة، من خلال العمل على ثلاث مسارات:

ـ الاعلام: خصّصت قناة (العربية) السعودية برامج موجّهة وإعلانات دعائية لعدد من المرشّحين من المحسوبين على حلفائها، مثل إياد علاوي وإياد جمال الدين وغيرهم. وفيما اختارت تعريفات كيدية للكيانات والشخصيات المصنّفة في خانة الخصوم من قبيل تعريف المالكي بأن في عهده تدهور الوضع الأمني، أو أن العراق لم يشهد استقراراً سياسياً، فيما تعرّف علاوي على أنه قضى على المتمرّدين في النجف والفلوجة، وكذا بقية الشخصيات والكيانات التي جرى تعريفها بحسب روابطها مع الرياض. أما الإعلانات الدعائية لبعض الكيانات فكانت واضحة بجلاء، حيث تكشف عن هوية حلفاء السعودية في الانتخابات العراقية.

ـ المال الانتخابي: يتذكّر الناشطون السياسيون والمراقبون الإعلاميون، فضلاً عن المرشّحين للانتخابات البرلمانية بدايات الحديث عن دخول المال السياسي السعودي الى العراق، في إطار معلومات عن أن الرياض بدأت برصد ما يربو عن مليار دولار لتمويل حملات إنتخابية لبعض الكيانات السياسية وشراء أصوات الناخبين العراقيين. ونقل مرشّح عراقي في قائمة (تيار العدالة والحرية ـ تجديد العراق) الذي يرأسه الدكتور نبيل ياسين في شهر أكتوبر من العام الماضي بأن ثمة (معلومات لدينا عن أموال طائلة رصدتها السعودية تصل الى مليار دولار لشراء أصوات العراقيين).

وقبل أيام قلائل من موعد الانتخابات العراقية، حذّر أكثر من مسؤول عراقي رفيع المستوى، بمن فيهم رئيس الوزراء نوري المالكي من دور المال السياسي في تزوير إرادة الناخب العراقي، وكان

أغلب التلميحات تتجه الى الحكومة السعودية.

ـ اللقاءات المباشرة واستقبال رؤساء إئتلافات إنتخابية حليفة: جرت العادة أن يطوف المرشّحون في المناطق الداخلية لشرح برامجهم الانتخابية من أجل إقناع الناخبين بجدوى ترشيحهم، وكسب أصواتهم. ولكن أن يقوم المرشّحون بجولات خارجية في فترة تعتبر حرجة إنتخابياً، والتي تتطلب من المرشّحين إبداء أقصى درجات النزاهة والاستقلالية.

مع ارتفاع حرارة الحملات الانتخابية في العراق، تحرّك أقطاب من إئتلاف القائمة العراقية برئاسة إياد علاوي على كسب الدعم الخارجي وتحديداً السعودية ومصر، حيث التقى علاوي الملك عبد الله ورئيس الاستخبارات العامة الأمير مقرن بن عبد العزيز فيما التقى طارق الهاشمي الرئيس المصري حسني مبارك، في جولة شملت عدة دول عربية.

في زيارة علاوي الى الرياض التي تمّت في ٢٠ فبراير الماضي، ثمة رسالة واضحة أن السعودية تريد تغيير الخارطة السياسية، على خلفية رفضها لأية حكومة شيعية تدير العراق، وتفضّل عودة البعثيين الى الحكم بحجة أن ذلك سيحد من نفوذ إيران في العراق، وسيمنع من تقوية العامل الشيعي.

حضور رئيس الاستخبارات العامة الأمير مقرن المحادثات بين علاوي والملك عبد الله حمل دلالة واضحة بأن مقرن ليس فقط على علاقة وثيقة مع علاوي، وإنما دلّل أيضاً على أن التنسيق الثنائي بين علاوي ومقرن راسخ وقديم، ويؤكّد ما كشفت عنه تقارير أمنية عراقية منذ سنوات.

في مقابلة مع صحيفة (الرياض) في ٢٢ فبراير الماضي أطرى مرشح القائمة العراقية، والكاتب المعروف حسن العلوي، الذي كان على علاقة وثيقة بالرئيس العراقي السابق صدام حسين، والذي يحمل جواز سفر سعودي، على السعودية التي اعتبرها (عقل العرب وحكمته) وأنها (جمجمة العرب ورأس الإسلام ولا بد لأي خلاف عربي الا ان يمر على رأس الإسلام). وأشار الى حساسية توقيت الزيارة وقال بأن (الزيارة في مثل هذا التوقيت قد تكون سرية بسبب الظروف الحالية إلا أنني كنت مُصراً على أن تكون علنية لأن زيارتنا للمملكة مفخرة لنا ونحن نلتقي بخادم الحرمين..). في إشارة الى أنه هو من جعل الزيارة علنيّة، ولعله أراد إيصال رسالة ما إلى داخل العراقي وخارجه من أن قائمة العراقية هي الأقدر على ما أفصح عنه لاحقاً في المقابلة (للخروج من العزلة السابقة التي حالت دون أن تأخذ الدبلوماسية العراقرية مداها العربي)، وهي ايضاً رسالة واضحة ان العراق القادم مفتوح على دول الجوار على خلاف العزلة التي فرضها الجانب الحكومي العراقي على الجانب العربي في الفترة الماضية).

زيارة علاوي والوفد المرافق له من (قائمة العراقية) والتي شملت سبع دول دول عربية وامتدّت لتشمل تركيا، كانت تستهدف بدرجة أساسية الحصول على دعم مادي وسياسي في الإنتخابات العراقية التي جرت في ٧ مارس الجاري، وهو ما دفع بها الى رفع سقف توقّعاتها الى حد الإيحاء بأنها ستسيطر على النسبة الأكبر من أصوات الناخبين العراقيين، وقد ذهبت إحدى المرشّحات في قائمة العراقية في مقابلة مع قناة (الجزيرة) القطرية وبعد أقل من ساعة على إغلاق صناديق الإقتراع بأن القائمة ستحصد ٩٠ مقعداً من أصل ٣٢٥ مقعداً في البرلمان العراقي العتيد، بناء على معطيات زعمت بأنها مستمدة من مزاج الناخب العراقي، والمراقبين للعملية الإنتخابية، والمشرفين على صناديق الإقتراع. الغريب أن قائمة علاوي هي أول من بدأت بالتحذير من عمليات تزوير في الانتخابات البرلمانية، قبل أكثر من إسبوع من موعد التصويت، بل ذهب طارق الهاشمي الى حد رفض النتائج في حال ثبت لدى قائمته بوقوع تزوير، بما يشير الى أن ثمة نوايا مبيّتة لدى القائمة بخوض معركة سياسية وأمنية بعد الانتخابات في حال لم تحقق (القائمة العراقية) النتائج التي تريدها، أو في حال الخسارة، وبالتأكيد ستعبّر عن نزاهة الانتخابات في حال الفوز.

لعبت قائمة (العراقية) على الورقة الطائفية، رغم أنها في العلن حاربت ما تعارف عليه عراقياً (المحاصصة الطائفية)، وزعمت بأنها حققت أكبر انسجام في قائمتها على اساس استيعاب الأطياف كافة، ودخلت حسب العلوي (بقائمة موحدة سنّية

السعودية دخلت على خط الانتخابات العراقية عبر إمبراطوريتها الاعلامية، ومالها السياسي، ولقاءاتها العلنية مع رؤساء كيانات إنتخابية لإعادة البعث

وشيعية كشراكة حقيقية وليس ديكوراً كما حصل لغيرها..)، ونتوقف هنا عند (لغيرها) التي تومىء، دون ريب، الى الإئتلافين الآخرين: دولة القانون برئاسة المالكي، والإئتلاف الوطني برئاسة عمار الحكيم، وهذا من شأنه أن يستجلب دعماً من الحكومة السعودية وعدد آخر من الحكومات العربية مثل مصر والأردن وغيرها.

لم تخلُ زيارة علاوي الى السعودية من طرافة أيضاً، ففي ردّه على انتقادات السياسيين العراقيين الذين شكّكوا في أهداف زيارته الى الرياض واعتبروها محاولة للحصول على دعم من أطراف خارجية في الانتخابات، قال علاوي في تصريح له نشر في ٢٣ فبراير الماضي بأن الزيارة (كانت



المال السعودي.. يا مرحبا!

للتباحث حول أوضاع المنطقة ومناقشة خطر تنظيم القاعدة المتزايد). وقال (لقد أثيرت ضجة مفتعلة من قبل بعض العناصر الحاكمة حول زياراتي إلى عدد من الدول العربية للتباحث عن الاوضاع العامة في المنطقة). وأضاف أن (اللقاء الذي جمعه مع العاهل السعودي يتعلق بالإرهاب والارهابيين وتحديدا تنظيم القاعدة الذي بات يهدد ليس العراق وحسب وانما كلا من الصومال والسودان واليمن). مناقشة موضوع القاعدة يتناسب مع حضور الأمير مقرن في لقاء الملك وعلاوي باعتبار القضية أمنية، ولكن المصيبة أين يضع علاوي نفسه من ذلك كله؟

وفي هذه التصريحات مايفتقر الى الدبلوماسية الرصينة، إذ لم يكن يتوقّع من علاوي الذي لا يعدو أن يكون نائباً في البرلمان العراقي أن يناقش موضوعات هي من اختصاص السلطة التنفيذية التي يرأسها نوري المالكي. ومهما بلغت درجات التنسيق بين علاوي والسعودية ورئيس جهاز مخابراتها العامة مقرن بن عبد العزيز، فإن ذلك لا يخوّله الحديث عن موضوعات أمنية هي من صلب عمل الحكومة العراقية، ما لم يكن قد حصل على تفويض منها لمناقشة هذا الملف، أما أن يكون يناقش في أوضاع المنطقة وامتدادات الإرهاب الممتدة من اليمن الى الصومال، فذاك موضوع يعتبر فارطاً في طرافته.

على أية حال، فإن رئيس الماكينة الإعلامية لقائمة (العراقية) حسن العلوي هو من حدّد في مقابلته مع صحيفة (الرياض) هدف الزيارة، قبل أن يفصح السياسيون العراقيون عن شكوكهم منها. وبالتالي فإن من وصفهم علاوي بالعقول المريضة التي (أرادت ان تربط ذهابي بالانتخابات..)، تصيب أقطاب قائمته أولاً.

خلاصة الكلام، أن السعودية دخلت على خط الانتخابات العراقية عبر إمبراطوريتها الاعلامية، ومالها السياسي، وأخيراً لقاءاتها العلنية والمباشرة مع رؤساء كيانات إنتخابية. وفيما يستحضر المراقبون ما جرى في الانتخابات البرلمانية اللبنانية في يونيو من العام الماضي، فإن النتائج التي ترجو الرياض تحقيقها ستصيبها بخيبة أمل أخرى، لأن مياه الأنهار، كما التاريخ، لا تعود الى مصابها مرة أخرى.

السعودية متأخرة.. الى العراق

الإنتخابات ونهاية الوهم السعودي

خالد شبكشي

فتحت الإنتخابات العراقية الأخيرة ـ أياً كان رئيس الوزراء القادم ـ الباب واسعاً لفكّ الحصار السياسي عن العراق من قبل الدول العربية، المعتدلة والممانعة على حدّ سواء.

حتى الآن، فإن معظم دول المشرق العربي فتحت سفاراتها في بغداد، بما فيها مصر وجميع دول الخليج عدا قطر.

لكن من فتح سفارته هناك، كالأردن، فإنما تحت ضغط الحاجة الى المال العراقي. وعادة ما يوصف الأردن، بأن تطوره قام على أساس تدمير العراق. ويصف السياسيون الحكم في الأردن بأنه منشار، يأكل في العراق وقت السلم ووقت الحرب، دون أن يقدّم اليه سوى احتضان البعثيين، وأصحاب الملايين الذين منحوا إقامات في الأردن، ومنعوا الضعفاء والفقراء من ذلك.

النفط العراقي المجاني أو الرخيص لازال يتدفق على الأردن، كما كان في عهد صدام حسين، وكل ذلك بضغوط من أميركا، في حين لا يقدّم الأردن الى العراق سوى المفجّرين، والإعلام المضاد المحرّض على العنف، والمؤيد للزرقاوي الى أن أخطأ هذا الأخير، ففجّر فنادق عمان، فكان مصيره القتل، عبر المخابرات الأردنية التي سلمت المعلومات التي لديها عنه الى القوات الأميركية.

سوريا، الخائفة من تكرار سيناريو الإحتلال الأميركي، كانت بوابة معظم العنف للداخل العراقي. فعبرها دخل السعوديون الوهابيون والبعثيون الى العراق؛ وعبرها دخلت الشاحنات المفخخة لتفجّر في الأسواق وأماكن العبادة، ومنها كانت الخوّات على المال السعودي الذاهب الى الداخل العراقي لتخريب الوضع الجديد، أو الذي كان جديداً.

سوريا، كما السعودية، كما إيران، كانت تعمل بجهد لتخريب الوضع العراقي الداخلي، حتى لا يفكر المحتلون في التمدد اليها. وللحق كانت مساهمة السوريين في العنف العراقي كبيرة للغاية وإن كان برجال من غيرهم، وإنما وهابيين سعوديين. وحين انفجر الوضع، وظهر عوار الوجود الأميركي وضعفه، وانخفضت المخاوف لدى تلك الأنظمة المحيطة بالعراق، انخفضت معها حدّة العنف المحلّي، وإن لم تنته.

على الأرجح، فإن سوريا التي فتحت سفارتها في العراق قبل نحو عامين، لا تزال تراهن على عودة البعث العراقي الى الحكم، وهي لا تخفي اصرارها على استخدام أوراقها بما فيها العنف في التفاوض مع النظام الجديد الذي اتهمها (المالكي) بأنها رعت التفجيرات السوداء في العراق قبل نحو أربعة أشهر.

أيضاً، فإن السعودية تعتبر أكثر الدول العربية تخوّفاً من العراق. فحتى مع غياب الخطر العنفي القادم من المؤسسة العسكرية العراقية، أو من الأميركي المقيم من العراق، فإن العراق يمثل خطرين للسعودية: أولهما ديمقراطية العراق غير مريحة له، مثلما هي غير مريحة لنظام البعث السوري. وثانيهما له علاقة بالميزان الطائفي؛ فمنذ البداية لم تقبل السعودية وجود حكام شيعة للعراق، سواء جاؤوا بالإنتخاب او بالقوة، وسواء كان هؤلاء أكثرية أم أقليّة. وهوس السعودية بالموضوع الطائفي، وفي ظل تزايد النفوذ الإيراني في العراق، جعلها تنافس إيران بصورة معاكسة. إيران تبحث عن حلفاء عراقيين من كل الأشكال والألوان السياسية، والسعودية تبحث سبل تخريب العملية السياسية من أساسها. لا عجب أن يطلب سعود الفيصل من أوباما بعيد انتخابه، بأن يصلح ما أفسده بوش، في إشارة الى تغيير نظام الحكم في العراق، متجاهلاً حقيقة أن الشعب العراقي صعب المراس، وأن اميركا وإيران لا تستطيعان إعادة عقارب الساعة الى الوراء. وهو ما أوضحته الإنتخابات العراقية الأخيرة، والتي أثبتت أن العملية السياسية رغم تدخل العامل الأجنبي لم يغيّر في مساراتها إلا بشكل طفيف للغاية.

العراق كان محاصراً سياسياً على الصعيد العربي طيلة السنين الماضية. لم تقم الجامعة العربية او الدول المجاورة حتى بإدانة القتل الجماعي في التفجيرات التي تحدث. وحتى تلك الدول التي فتحت سفاراتها في بغداد، مثل مصر، واستلمت خمسة مليارات عقود من حكومة بغداد، مع وعد بخمسة مليارات أخرى، لم تكن إلا أداة بيد السعودية المحاصرة للحكم القائم.

لم تكن أمريكا قادرة على إقناع السعودية ومصر والأردن على تغيير نهجها بشأن الوضع في العراق، وقد اعتاد حلف الاعتدال الأميركي الإستجابة بشأن كل القضايا السياسية تقريباً، إلا في الموضوع العراقي، فإن الدول العربية المعتدلة ظهرت لها أنياب ورفضت الإنصياع، وفي مقدمها السعودية التي

رأت أن ليس لها مهمّة في الكون إلا مكافحة الشيعة وإيران، وقد رأتهما شيئاً واحداً، ووضعت الجميع في سلّة واحدة.

كان موقف المعتدلين العرب أفضل هدية قدّمت لإيران، فقد استفردت بالوضع العراقي، وكان الأميركي يريد الحضور العربي لموازنة النفوذ الإيراني، ولكن لا العين ترى، ولا الأذن تسمع.

النظام العراقي في عهد المالكي حقق نجاحات على مستوى الأمن، فتم في عهده تصفية رؤوس القاعدة وفي مقدمهم الزرقاوي بالتعاون مع الصحوات السنيّة، كما استطاع المالكي وبصورة كبيرة تدمير القوة الأساسية لمقتدى الصدر وأرسله منفياً للخارج، بعد معارك مفتوحة شملت المحافظات الجنوبية العراقية خاصة محافظة البصرة. وقد اكتسب المالكي سمعة حسنة في نظافة اليد، وفي بناء الدولة، وكرئيس وزراء حازم.

وفي الوقت الذي تخوّفت فيه السعودية من الانسحاب الأميركي من العراق، وكانت تصرّ على بقاء القوات الأميركية، كرادع لنظام الحكم هناك، أو كضاغط لتغيير معادلة السياسة المحلية، أو ككابح للنفوذ الإيراني، فإن القرار بالإنسحاب قد اتخذ منذ عهد بوش، وكان ذلك الانسحاب ونجاحه معلقاً على مجريات الإنتخابات العراقية التي تمت في السابع من مارس الجاري.

معنى هذا، أن على السعودية أن تقلع شوكها بنفسها. فالأميركيون كانوا ولازالوا غير معنيين بموقف الحكم السعودي أو المصري، وبالتالي فإن الحضور السعودي بشحمه ولحمه لا بد أن يكون في بغداد، بدل النيابة الأميركية!

لكن السعودية إنما تأتي متأخرة الى ساحة لم يكن لها في سابق التاريخ أي نفوذ أو تواجد. هي ساحة جديدة على السعوديين، بل كانت ساحة معادية لهم مذهبياً وسياسياً منذ فجر تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١م. ويأتي السعوديون بعد أن أضاعوا أوراقهم وصداقاتهم الممكنة والمحتملة، وبعد أن وضعوا التصنيف الطائفي والعرقي حاداً مانعاً لهم من الإلتقاء مع الآخرين، بل كانوا في واقع الحال قد أظهروا سخريتهم وتقزّزهم وعدم احترامهم وفجاجتهم من القيادات العراقية بشكل عام.

تأتي السعودية الى العراق، ولا صديق لديها واضح بين الأكراد (السنّة، الذين تناستهم في عنصرية بغيظة)!

وتأتي ولا صديق لها بين القيادات الشيعية، فقد صفعت علاوي من قبل على وجهه!، ورأت نفسها وخيلائها غير قادرين على أن يسمحا لها بفتح علاقة طيبة مع الجعفري، ثم مع المالكي الذي قام بأول زيارة له بعد انتخابه اليها.

كان كل الرهان، أن يحدث الإنقلاب المعجزة، فيعيد انقلاب عسكري أو تعيد القوة العسكرية، أو الإرهاب عقارب الساعة الى الوراء فتصبح الأكثرية الشيعية والكردية محكومة لنحو ١٥٪ من السنّة العرب، أكثرهم يتهم السعودية بتدمير العراق!، وكان ذلك حلماً مستحيلاً.

أيضاً لم تقم السعودية علاقات طيبة مع القيادات السنيّة الأساسية، كقيادات الحزب الإسلامي، ولم تعمد الى تجميع القوى، بل الى اقتناص بعض الأفراد القياديين للقيام بمهمات يعجز عنها أولو العزم! اللهم إلا التخريب والتدمير. كان المال السعودي يتدفق، وكذا وهابيو التطرف والتفجير والإنتحاريين، ولكن كل ذلك لم يصنع مكانة للسعودية، بل انقلب الى سخط شعبي عارم ضدّها، الى حدّ يمكن معه القول اليوم انه لا يوجد نظام عربي مكروه بين العراقيين مثل النظام السعودي.

لكن السعوديين، الذين لم يقبلوا بعلاوي، البعثي الشيعي رئيساً للوزراء، تألموا لخسارته بعد أن فات الوقت وأصبح المالكي مكانه. ومنذ نحو عامين، اقتنع السعوديون بأن إعادة التاريخ الى الوراء يتطلب استخدام علاوي. وقد استخدم فعلاً بادئ الأمر في تخريب العملية السياسية وإفشال مهمة المالكي، كما كشفت عن ذلك أحداث الزركة التي تواطأت في اشعالها المخابرات السعودية وعلاوي، والتي أدت الى مقتل المئات. فلما تبيّن للسعودية ان العنف لن يغير المعادلة السياسية، صار الرهان على علاوي كقطب سياسي تتجمع حوله القوى السنيّة العربية، والشيعية النافرة من الأحزاب الشيعية الدينية، ويقبل به البعثيون، وهكذا كان.

لكن يبدو أن السعوديين ليس أمامهم بعد أن جرت الإنتخابات إلا القبول بنتائجها. ونقصد بـ (القبول بنتائجها) القبول بالعراق كما هو الآن، لا كما يتخيّله السعوديون. أي القبول بديمقراطيته، رغم نواقصها، والقبول بالتعددية فيه، والقبول برموزه وتاريخه. وأهم معاني القبول: الكفّ عن الحرب الإعلامية، والإرهابية الموجهة إليه، والكفّ عن مضايقته اقتصادياً عبر ديون حروب صدام، وايضاً الكف عن الحصار السياسي، خاصة وأنه تحوّل الى حصار دعاة الحصار أنفسهم (السعوديون والمصريون).

يمكن للسعودية ومصر أن تأتيا الى العراق وتعمدا الى بناء نفوذهما الشرعي فيه، وأن تربحا العراق اقتصادياً وسياسياً.. أما سياسة ليّ الذراع فلا تفيد وهي لم تفد النظامين.

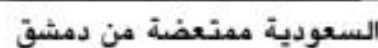
غير أنه ينبغي الإنتباه الى حقيقة أن السعودية حين تأتي الى العراق، فإنها تأتيه والعراق في أوج قوته منذ سقوط صدام حسين، بينما هي في أدنى حالات ضعفها السياسي إقليمياً ومحلياً منذ ذلك السقوط.

العراق، ثالث أكبر مخزون نفطي في العالم، بثلاثين مليون نسمة، وبتراث استقلالي عريق، يعجز الأميركيون والإيرانيون من التحكّم فيه. هذه الدولة الواعدة، تضم بين جنباتها سفارات كل دول العالم، وهي ليست بحاجة ماسّة الى سفارة سعودية تفتتح، ولا الى شهادة سعودية في الإستقلال والكرامة والتنمية، فضلاً عن الديمقراطية، فهذه كلها لا يملكها السعوديون، فضلاً عن أن يمنحوا شهادات فيها.



مجلس حرب: نجاد والأسد ونصر الله





السعودية ممتعضة من دمشق

بين دمشق والرياض

طريق المصالحة مغلقٌ حتى إشعار آخر

محمد شمس

يقول المثل (خذوا أسرارهم من صغارهم)، فما يكتبه بعض المقرّبين من مصادر تفكير وجيوب آل سعود، يمثّل إشارات لافتة على إتجاهات السياسة في هذا البلد، بل وحتى عن علاقات الدولة بجيرانها. في ١٥ فبراير الماضي، كتب مدير قناة (العربية) عبد الرحمن الراشد عموداً في صحيفة (الشرق الأوسط) بعنوان (طي اغتيال الحريري)، اعتبر النفوذ السوري في لبنان (قضية خطيرة) من بيان قضايا أخرى (لايمكن أن يهال التراب عليها فقط لأن الحريري قبل بزيارة دمشق). ثم عاد وقال في مكان آخر (دمشق تريد أن تكون طرفاً دائماً في اللعبة اللبنانية).

لأول وهلة، اعتقدنا بأن المقالة ليست أكثر من نفثة مصدور، أو جملة اعتراضية خارج السياق، أو حتى عزف منفرد لاستعادة ترانيم التجاذب في لبنان. ولكن ما لبث أن توضّحت الصورة، ففي ٢٧ فبراير الماضي كتب طارق الحميد في الشرق الأوسط عموداً بعنوان (سورية وإيران.. من يخدع من؟)، تحدث عن قمة دمشق التي جمعت الرئيس السوري بشار الأسد بنظيره الإيراني محمود أحمدي نجاد، والرد السوري على طلب وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون من سورية بالابتعاد عن إيران، حيث قال الأسد (أتمنى من الآخرين ألا يعطوا دروساً عن منطقتنا وتاريخنا، ونحن نحدد كيف تذهب الأمور). الحميد اعتبر التصريح متناقضاً مع الطلب السوري من الأميركيين بالتدخل في المفاوضات مع إسرائيل. ثم يقول بعد ذلك (أمر محير فعلاً، فإذا كان السوريون يريدون علاقات طبيعية مع أميركا، ويريدونها أن ترعى وساطة مع إسرائيل، فكيف يقاتلون في صف نجاد، ويوافقونه على محو إسرائيل)، وفي الأخير تساءل (من يخدع من؟) موضّحاً: (فهناك أمر لا يستقيم بعلاقة دمشق ـ طهران اليوم، فرفع الصوت يشي بأن هناك طرفاً متوتراً، وآخر يظهر عكس ما يخفي؟).

وعاد الحميد في ٦ مارس الجاري وكتب عموداً في نفس الصحيفة بعنوان (هل أعطى العرب غطاءً أم كشفوه؟)، غمز في القناة السورية تارة بصورة خفيّة وأخرى بصورة عارية، أي حين اعتبر إعطاء الجامعة العربية تفويضاً لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس لسحب البساط من تحت (المزايدين)، وأخرى حين انتقد الموقف السوري المعترض على تقديم تفويض عربي لعباس لأنه ليس بحاجة الى تفويض، وفسّر الموقف السوري بطريقة سلبية (والمغزى واضح، فالسوريون لا يريدون سابقة عربية كهذه، كما أنهم يريدون إعطاء شرعية لحماس لمهاجمة عباس) ثم أثار سؤالاً ينطوي على تعريض بالموقف السوري (طالما أن السوريين يرون أن للفلسطينيين الحق في اتخاذ قراراتهم وحدهم فلماذا تتدخل دمشق في الشأن الفلسطيني أصلا؟).

ما لفت أيضاً، أن الحميد اعتبر الرد السوري على اعلان رئيس الوزراء الاسرائيلي نتنياهو عن استعداده لزيارة دمشق بأنه وقوع (في الفخ الاسرائيلي) ويعلّق على ذلك (فبدلاً من إحراج نتنياهو، وكشف ألاعيبه، جاء الرد السوري مرتبكاً؛ فلو أن الرد السوري على نتنياهو كان: أعلن موافقتك على الانسحاب من الجولان على مراحل، أو مباشرة، وتفضّل، أو نأتي إليك، حينها كنا سنقول: ضربة معلم!)، وختم مقالته بما بدأه بالغمز في القناة السورية (الإشكالية اليوم التي لم ينتبه لها البعض هي في عدم وجود أفق سياسي، مما سينشط سوق المزايدة، والمغامرين).

وبقطع النظر عن ضحالة التحليل وبدائيته، كما تنبىء عن ذلك معظم مقالات الحميد، فإن ما يهمنا هنا ما تومىء إليه في موضوع العلاقة بين الرياض ودمشق، والتي بدت وكأنها تتقهقر وتعود الى المربع الأول.

زيارة الملك عبد الله الى دمشق في أكتوبر من العام الماضي، وصفت بأنها تاج المصالحات العربية، بما أسست له من مناخ تصالحي إنعكس إيجابياً على الوضع في لبنان وعلى العلاقات العربية العربية. إحتفالية الزيارة عكست نفسها على وسائل الاعلام السعودية بدرجة أساسية التي كانت تقود طيلة سنوات حملة دعائية واسعة ضد سورية ورئيسها بشار الأسد منذ اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري في فبراير ٢٠٠٥. توقّفت الحملة الدعائية ضد سورية برهة من الزمن، إيذاناً بافتتاح مرحلة مصالحة تطوي آثار

التشنّجات السياسية والأمنية بين البلدين على مدار خمس سنوات خلت.

وفيما بدا أن ترتيبات الزيارة سبقتها جولات مكوكية من موفد الملك، ممثلاً في نجله الأمير عبد العزيز بن عبد الله إلى جانب وزير الإعلام عبد العزيز خوجه، لناحية تحديد موضوعات اللقاء مع القيادة السورية، ومن بينها العلاقات السورية ـ الإيرانية، وملفات لبنان والعراق وفلسطين، كان السوريون على استعداد للتباحث في هذه الموضوعات ولكن من دون شروط مسبقة. لم يكن الملك عبد الله في حلٍ من الزيارة المقرّرة، تبعاً لأجواء المصالحة المطلوبة عربياً وأميركياً..وإسرائيلياً، بانتظار تنضيج مناخ السلام المراد بعثه مجدداً بعد أن توقّف قطار التسوية منذ تدهوّر العلاقات العربية العربية.

قيل القليل عن مضمون زيارة الملك عبد الله الى دمشق، ولكن أجواء المصالحة من شأنها أن تنتج مالم يقل البته، بل هناك من أراد، وخصوصاً في لبنان، تقويل الرياض ودمشق أموراً من أجل إنجاح مسار التهدئة لبنانياً، خصوصاً بعد نجاح الموالاة في الانتخابات التشريعية، ولم يكن هناك ما يدعو لتعكير المعادلة الجديدة، طالما أنها حققت ما كانت تريده الرياض في لبنان من وصول حليفها الى الحكومة.

أما في الملفات الأخرى، وخصوصاً العلاقات الاستراتيجية التي تربط دمشق وطهران، وهو مركز الاشتغال السعودي، فلا يبدو أن الرياض نجحت في إحداث اختراق فيه، بسبب تمسّك القيادة السورية بهذه العلاقات، التي جرّبت عملياً مفاعيلها الإيجابية وأنقذتها في أحلك الظروف، حين كانت الرياض تخطط مع عواصم أوروبية وأميركية، والتي جانب قوى الموالاة اللبنانية لإسقاط النظام السوري، فكيف لها أن تقبل بعد أن كسرت الحصار الدولي عليها، أو كما عبّر عنها السفير الأميركي السابق في لبنان جيفري فيلتمان، والذي يشغل حالياً منصب مساعد نائب وزيرة الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأدنى في ١٩ يناير الماضي وهو الذي (هندس) مشروع عزل وإسقاط النظام في سورية خلال السنوات من ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٨ (لقد حاولنا عزل سوريا فوجدنا أننا نحن المعزولون وليس سوريا).

إكتشفت القوى الإقليمية والدولية وقبل ذلك اللبنانية بأن دمشق رقم صعب في المعادلة الإقليمية ليس في الموضوع اللبناني فحسب، بل في كل قضايا المنطقة، ولا يمكن تجاوز دورها لمجرد زيارة الملك عبد الله الى دمشق وطلبه الفكاك عن طهران، وكان على الرياض أن تدرك جيداً هذه الحقيقة قبل أن تقرر ما يجب أن تطرحه من قضايا للنقاش مع القيادة السورية.

المعطيات التي ظهرت بعد زيارة الملك عبد الله إلى دمشق لا تنبيء عن نجاح الرياض في الحصول على التزامات سورية حيال قضايا ذات اهتمام منفرد. وبإمكان المراقب أن يلحظ ذلك في موضوع المصالحة الفلسطينية بين فتح وحماس، والتي حاولت الرياض، نيابة عن الجانب المصري، أن تضغط على القيادة السورية من أجل إرغام حركة حماس على توقيع ورقة المصالحة الفلسطينية بحسب الشروط المصرية، وحين عجزت الرياض عن إقناع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، الذي زار المملكة لإيصال وجهة نظره الى الملك عبد الله بالقبول بوثيقة المصالحة كما هي دون تغيير، وذهب الأمير سعود الفيصل الى دمشق لهذا الغرض، قررت الرياض نشر رسالة مشعل الى الملك عبد الله في الصحافة المصرية.

قمة دمشق الأخيرة التي جمعت الأسد ونجاد ونصر الله لم تكن ردّاً على التصريحات الأميركية فحسب، بل وجدت الرياض نفسها معنيّة بصورة مباشرة بما تحمله القمة من رسائل إقليمية ودولية. في التفكير السياسي السعودي، أن القمة تمثّل رداً لطلب سعودي قديم/جديد بضرورة تفكيك التحالف بين دمشق وطهران، وكان الجواب السوري واضحاً بأن التحالف الإيراني السوري راسخ ولا يمكن التفريط فيه، وأن خيار دمشق هو الأكثر نجاعة، وعلى الدول العربية أن تحذو حذوه، وأن لاعودة الى تسوية بالطريقة المقترحة سعودياً، في ظل إنهيارات متسلسلة في خيار السلام بفعل التدابير الإسرائيلية التعسفية، وآخرها قرار ضم مسجد الخليل ومسجد

العلاقات الاستراتيجية التي تربط دمشق وطهران هي مركز الاشتغال السعودي.. دمشق تصرّ عليها لأنها درأت عنها أخطار عرب الاعتدال والغرب

بلال بن رباح للتراث الاسرائيلي.

في واقع الأمر، إن تسارع وتيرة القرارات الاسرائيلية (بناء المزيد من المستوطنات، وتواصل الحفريات بالقرب من المسجد الأقصى، ضم الآثار الإسلامية الى التراث الإسرائيلي، واقتحام المسجد الأقصى في ٥ مارس وغيرها، الاغتيالات والاجتياحات الجزئية في القطاع، ومصادرة الأراضي الفلسطينية، وهدم المنازل وغيرها)، تضع معسكر الاعتدال العربي وخصوصاً السعودية ومصر على محك المسؤولية التاريخية وأيضاً مشروعية التمثيل العربي، فيما يكتسب المعسكر الذي جسّدته قمة دمشق والتي جمعت الأسد ونجاد وحزب الله وفصائل المقاومة الفلسطينية المزيد من المصداقية والمشروعية.

هنا يبدو التباين إلى حد التناقض بين الموقفين السعودي والسوري، ولهذا السبب يواصل بعض الصحافيين السعوديين الذين نذروا أنفسهم للمناجزة الإعلامية مع دمشق منذ ٢٠٠٥ توجيه انتقاداتهم للسياسة السورية. فليس هناك ما يستوجب الكف عن الحملة الدعائية ضد دمشق، طالما أنها لا تزال متمسّكة بمواقفها في القضايا الخلافية مع الرياض.

لسان حال المسؤولين السوريين أن لا شيء يدفعهم للتنازل عن مكاسب كبرى حصدوها من نضالات سابقة، فهم يدركون تماماً بأن البنية الاستراتيجية التي بحوزتهم حالت دون تعرّضهم لأخطار جديّة كانت محدقة بهم في السنوات السابقة، وكان للسعوديين دور رئيسي فيها. كما لا تريد دمشق التفريط في أوراق قوة بيدها سواء في لبنان أو فلسطين، وقد أثبتت مقاوماتها بأنها قادرة على تعزيز الدور السياسي السوري من خلال صمود هذه المقاومات في الميدان العسكري.

ما يجعل السعوديين عاجزين عن فعل أي شيء حيال تنامي الدور السوري، أن القيادة السورية تتذوق (لذة) منجزات سياسية في ملفات عدّة لبنانية وفلسطينية وتركية وأخيراً عراقية، وفوق ذلك نجاحها التام في كسر الحصار الدولي. في المقابل، خسرت السعودية أوراق عديدة، فلا هي تحوّلت الى دولة محورية في المنطقة رغم الإمكانيات المالية الهائلة التي توفّرت لديها بما يؤهّلها للعب دور محوري في ملفات إقليمية ساخنة، وحتى لبنان التي اعتقدت بأنها ربحته بعد فوز حليفها بالانتخابات البرلمانية لم تستطع أن تغيّر في حقائقه الراسخة وعلى رأسها نفوذ وقوة المعارضة، وسلاح حزب الله، بل إنها لم تنجح في إقناع زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط بالبقاء في معسكر حلفائها، وصار اليوم أقرب للمعارضة منه للموالاة، ويتحيّن الفرصة تلو الأخرى لزيارة دمشق وتقديم اعتذار للرئيس بشار الأسد على توصيفاته اللاذعة لدمشق وقيادتها. ثمة من أفشى خبراً بأن الأميركيين عرضوا على دمشق العودة الى لبنان من أجل ضبط أوضاعه، خشية أن يتدهور الوضع اللبناني بما يؤثّر على الأمن الإسرائيلي، وفي الخبر أيضاً طلب السوريون بتبديل الجهاز الأمني اللبناني برمّته كشرط لقبول العرض.

ليس هناك، في المدى المنظور، ما يشير إلى عودة حقيقية للعلاقات السعودية السورية، وأن أية طلبات تستهدف تغيير المواقف الاستراتيجية لدى دمشق لن تزيد الجانبين إلا بعداً، وعلى الرياض أن تدرك بأن تغييراً جوهرياً حصل ليس في النظام الإقليمي بل بات يستوعب هذا التغيير النظام العالمي برمته، ونحن اليوم على مقربة من مشهد جديد سيغيّر وجه العالم، ولا ننسى التغييرات التي جلبها العراق للمنطقة ولا شك أن للسوريين نصيباً منها.

إن مجرد إجراء مشاريع استثمارية سعودية في سورية، وزيادة حجم التبادل التجاري (يصل الآن الى ملياري دولار) بما يعزّز العلاقات التجارية بين البلدين، لا يعني أن تطالب الرياض سورية سداد ثمن الاستثمارات مواقف سياسية، لأن السعوديين وخصوصاً الملك عبد الله قد سمع من الرئيس السوري السابق حافظ الأسد بأن حين يتعلق الأمر بالمواقف السياسية لا نقبل الابتزاز.

الرياض وبكين في معركة طهران وواشنطن

النفط السعودي Vs النووي الإيراني

محمد فلالي

استجابت السعودية لطلب وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون بالتدخل لدى الصين من أجل المشاركة في الحلف الدولي المصمّم لتشديد العقوبات الاقتصادية على ايران، وطار الأمير سعود الفيصل في ٤ مارس الجاري الى بكين لإيصال رسالة من الملك عبد الله الى نظيره الصيني. ليس هناك ما يتطلب كبير جهد لمعرفة فحوى الرسالة، فقد كانت تصريحات الوزيرة كلينتون كفيلة بالكشف عن موضوع الزيارة وهدفها.

تبدو السعودية اليوم مستعدة للدخول في كل المناجزات الأميركية والغربية ضد إيران، وإن أفضت تحرّكاتها الى زيادة التوتر ليس في العلاقات السعودية الإيرانية بل في المنطقة عموماً. تصريحات سعود الفيصل خلال زيارة كلينتون الى الرياض الشهر الفائت كانت واضحة من أن العقوبات الاقتصادية على ايران ليست كافية بمفردها، حتى وإن كانت ستترك تأثيرات على المدى البعيد، وطالب بتدابير أخرى أكثر نجاعة وفورية، في إشارة ضمنية الى التلويح بالخيار العسكري، وإن بدا موارباً في اقتراح الحل التفاوضي.

في ظل أجواء الإحتقان المتعاظم بين الرياض وطهران والتي تتأثر بما يجري في العراق ولبنان وفلسطين واليمن والخليج عموماً، تتمسك السعودية بخيار السير في طريق التصعيد الاعلامي والسياسي ضد إيران، الأمر الذي يجعل الرياض ورقة قوية باليد الأميركية لمقارعة طهران في الموضوع النووي.

ليس لدى السعودية اليوم ما تستخدمه في سياستها الخارجية سوى النفط ومشتقاته، فهي توظّفه في السياسة لتحقيق نفوذ ما أو تعطيل نفوذ مضاد، هذا باختصار ما تملكه وليس ثمة شيء آخر. زيارة سعود الفيصل الى بكين تتعلق بصورة محدّدة بالملف النووي الإيراني، أي بكلام آخر تقديم بعض (الجزرات) للصين من أجل المشاركة في الضغوط الاقتصادية على طهران. زيارة الفيصل لم تستغرق سوى ساعات سلّم خلالها رسالة من الملك عبد الله الى الرئيس الصيني جين تاو وفيما رفض مصدر دبلوماسي سعودي الكشف عن فحوى الرسالة، وإن كانت تتعلق باستخدام الرياض نفوذها لدى الصين لحملها على التخلي عن تحفظها إزاء تشديد العقوبات على ايران، إكتفى بالقول أن الرسالة تتضمن (وجهة نظر الرياض تجاه الملف النووي الإيراني).

أن تكون السعودية جزءً من تحالف أميركي غربي ضد إيران فهذا لم يعد سراً، فقد بات واقعاً إلى الحد الذي لم تعد فيه الرياض تتحفظ على البوح به والعمل وفق املاءاته. بالنسبة لها لا يجب أن يقتصر التحالف على الموضوع النووي بل يستوعب كل القضايا الإقليمية التي تحاول الرياض الهيمنة عليها سواء في العراق وفلسطين ولبنان، والتي ترى بأن الدور الإيراني فيها قد أفضى إلى تآكل نفوذها في الوقت الذي تملك فيه امبراطورية مالية تمكّنها من بناء شبكة نفوذ واسعة. المشكلة تكمن، بحسب مراقبين كثر، في من يدير الامبراطورية، والأهداف المرسومة لها، فهذه الأمبراطورية لم تكسر إرادة قوى إقليمية مثل سورية، أو حتى المعارضة في لبنان، أو حركة حماس في فلسطين، وبقيت السعودية رهينة التحالف المرسوم أميركياً الذي لم يغادر مواقعه لتحقيق اختراقات سياسية لافتة.

> **السعودية مستعدة للدخول في كل المناجزات الأميركية والغربية ضد إيران، وإن أفضت الى زيادة التوتر في علاقاتها مع هذه الأخيرة**

عوداً الى الصين، التي زارها سعود الفيصل في وقت مازال التنين يغلي غضباً على استقبال الرئيس الأميركي باراك أوباما زعيم التيبت دالا لايما. لا شك أن لدى السعودية مصالح اقتصادية كبيرة مع الصين، وتعتمد الأخيرة على مايربو قليلاً عن نصف احتياجاتها من نفط منطقة الخليج، فيما تمثّل دول الخليج ثامن أكبر سوق، وثامن أكبر شريك تجاري للصين. بل إنها تستورد ما نسبته ٣٢ بالمئة من حاجاتها من النفط من الخارج، حيث تشكل نسبة الواردات النفطية من الخليج ٩٥ بالمئة. فقد كانت تستورد الصين ٢,٥ مليون برميل يومياً في العام ٢٠٠٠، حيث يقدّر أن تزداد الكمية الى ٤ ملايين برميل هذا العام (٢٠١٠). وتنتج الصين ٣,٥ مليون برميل يومياً بما يجعلها من كبار منتجي النفط في العالم، إلا أن ذلك لا يغطي احتياجاتها اليومية والصناعية.

وكونها ثاني أكبر مستهلك للنفط في العالم، فإن هذا يجعلها في قلب التحديات التي تشهدها منطقة الخليج، في ظل تحرّكات أميركية للحصول على مناطق نفوذ دائمة في الممرات المائية الممتدة من الصين إلى الخليج في سبيل التحكّم في الاقتصاد العالمي وممارسة الضغط على الصين لتحقيق مآرب سياسية واستراتيجية جمّة.

الصين تعتمد في الجزء الأكبر من استيراداتها النفطية على إيران، وهذا ما يجعل العلاقة بين بكين وطهران ذات أهمية بالغة، وهذا أيضاً ما دفع بالوزيرة كلينتون للطلب من نظيرها السعودي لاستعمال نفوذ دولته لدى الصين عبر تقديم عرض بزيادة الصادرات السعودية من النفط الى الصين في مقابل أن تتخلى الصين عن تحفّظها إزاء العقوبات الاقتصادية على إيران. وفي الوقت الحالي لا تتجاوز كمية النفط المصدّر للصين حدود ٣٠٠ ألف برميل يومياً، إلى جانب المشاريع الاستثمارية في الغاز وإنشاء المصافي وتخزين النفط في الصين. وتسعى الرياض إلى تعزيز روابطها الاقتصادية والتجارية مع الصين من أجل إضعاف العلاقة المتميّزة التي تربط بكين وطهران.

وقد طوّرت الرياض علاقاتها مع الصين على قاعدة مصالح اقتصادية ونفطية، وخصوصاً بعد الحادي عشر من سبتمبر حين شعرت بأن تحالفها مع الولايات المتحدة ومصالحها الاستراتيجية والاقتصادية باتت عرضة للتدهور. وحتى بعد إعادة ترميم علاقاتها مع واشنطن، وجدت الرياض بان العلاقة مع بكين يمكن أن تسهم في لعب دور نافذ في ظل التطوّرات الإقليمية والدولية وبروز قوى إقليمية منافسة لها، وها هي تحاول توظيف تلك العلاقة في معركتها مع طهران، التي لم تعد ترى غيرها خصماً في المنطقة، وتحاول من خلال المعركة هذه إرضاء حلفائها في الغرب، وكسر خصومها في الشرق.

ليس انخفاض الطلب على النفط في الولايات المتحدة والغرب هو ما يدفع الى تحسّن العلاقات

النفطية بين الصين والسعودية. صحيح أن العلاقات النفطية الوثيقة بين السعودية والولايات المتحدة أكبر مستهلك للنفط في العالم شهدت تغيّراً، ويمكن أن يعود ذلك الى تقلص الطلب على الطاقة في الغرب، بما يتيح للسعودية فرصة التوجّه الى وربما الهيمنة على سوق آسيا المتنامية خصوصا في الصين.

استغلت واشنطن تنامي الطلب الصيني على



الملك مع الرئيس الصيني في الرياض

النفط والقدرة السعودية على توفير احتياجات الصين من النفط لتكون جزءً من الحملة الأميركية على إيران. زار ستيفن تشو وزير الطاقة الأميركية الرياض الشهر الماضي، ليبلغ رسالة مفادها أنه حان الوقت لاستغلال حاجة الصين من النفط لاستدراجها الى (الحلبة) الأميركية في مقابل طهران.

الرياض ردّت بالإيجاب على الطلب الأميركي، فعزّزت الصادرات الى الصين، بعد أن انخفض تدفق النفط الخام من السعودية الى الولايات المتحدة، حيث انخفضت الصادرات إلى أقل مستوياته في ٢٢ عاما خلال ٢٠٠٩ اذ تسبب الكساد في هبوط استهلاك الوقود وقادت السعودية تخفيضات منظمة أوبك لامدادات المعروض حتى يتناسب الطلب مع المعروض. فثمة قناعة راسخة، بأن ما يجعل السعودية مؤثّرة في القرار الصيني هو ليس فقط الصادرات النفطية بل قدرتها على التحكم في سوق النفط العالمية، باعتبارها أكبر منتج يحوز على أكبر فائض من الطاقة الانتاجية، وهي الملاذ الأقوى لتغطية أي نقص تعاني من الاسواق العالمية.

يرى ديفيد كيرش مدير استخبارات السوق لدى بي.اف.سي انرجي في واشنطن (كان النموذج القديم يتمثل في أن السعودية ترى اهميتها من ناحية الجغرافيا السياسية في أنها أكبر مورِّد الى أكبر سوق في العالم). ويضيف (إنها لم تعد ترى ذلك المحرِّك الرئيسي. بدلا من ذلك، فان السعودية لديها طاقة انتاجية فائضة ومستعدة لتعديل الإنتاج صعوداً ونزولاً لتلبية احتياجات السوق). وتصريح كهذا من شأنه أن يحمل رسالة مزدوجة، فهو يغري السعودية بلعب دور فاعل ومساعد في السياسة الخارجية الأميركية، ومن جهة أخرى يهدد أطراف أخرى مثل الصين والدول المستوردة للنفط الخليجي بأن ثمة ما يجب الخشية منه، فللنفط رهبة جبّارة. بطبيعة الحال، ليس لتصريح كيرش مفعول على الداخل الأميركي، فإن انخفاض شحنات النفط السعودي الى الولايات المتحدة عائد الى قرار سعودي بهذا الشأن وإنما بسبب أوضاع اقتصادية ومالية أميركية، ولذلك فقد قامت السعودية بتوفير عشر الواردات الأميركية من النفط العام الماضي، ٢٠٠٩. يقول فرانك فيراسترو رئيس برنامج الطاقة والامن القومي في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن أن السعودية أصبحت مورداً موثوقا به على المدى الطويل للسوق الأميركية بدرجة أكبر من منافسين مثل فنزويلا أو نيجيريا.

في واقع الأمر، أن واشنطن تلعب بالورقة السعودية، بعد أن عجزت الرياض عن استعمالها بطريقة تحقق مصالحها، فعدم قدرة واشنطن على شراء ما تحتاجه من النفط السعودي لا يعني مطلقاً عدم استعمالها له في السياسة. وهي تدرك تماماً بأن الرياض لا تملك معارضة استعمال واشنطن لورقة النفط السعودي إن أرادت، وهذا ما دفع سعود الفيصل إلى الإنصياع لأوامر السيدة كلينتون بالسفر إلى بكين لتقديم عرض زيادة وارداتها من النفط، بطلب من واشنطن.

يقول فرانك فيراسترو بأن السعودية (في وضع متميز كمحور لسوق النفط على طرفي العالم. السعودية مهمة جدا للولايات المتحدة من الناحية الإستراتيجية وهناك إدراك بأننا لا نستطيع فقد السعوديين في أي وقت قريب). فهو لا يتحدث عن السعودية كدولة مصدّرة للنفط فحسب، بل كحليف داعم للسياسات الأميركية في العالم، وأحد مموّلي تلك السياسات سواء بصورة مباشرة أو بالنيابة.

ينظر الأميركيون الى الدور السعودي من خلال (السوق)، وخصوصاً في البلدان النامية، التي تستهلك كميات من النفط أكثر من الدول الصناعية. تذكر بيانات وكالة الطاقة الدولية بأن الاقتصادات الصاعدة في البلدان النامية ستحوز على ٤٧ بالمئة من الطلب العالمي على النفط في ٢٠١٠ ارتفاعاً مقارنة بـ ٣٧ بالمئة في ٢٠٠٠، فيما تعتقد الوكالة بأن الطلب في الدول المتقدمة بلغ ذروته.

وتتمتع السعودية بفضل مركزها كأكبر منتج للنفط في منظمة أوبك وامتلاكها خمس احتياطي العالم من النفط بميزة على المنتجين الاخرين عندما يتنافسون على أسواق جديدة. وتحرص المصافي الآسيوية المتعطشة للطاقة – والتي تكون غالبا مملوكة للدولة – على ضمان إمدادات مستقبلية من الطاقة من خلال عقود طويلة الأجل مع البلد الأكثر قدرة على امدادها بالنفط. يقول كيرش، سالف الذكر، (ليس هناك منتج يستطيع وحده حقاً منافسة السعودية في الصين في الأجل الطويل). فالصين حسب رأيه (سوق رئيسية والسعودية لا ترغب في فقد حصتها من السوق هناك. انها لا ترغب في فقدها لصالح روسيا و ايران. وهذا جزء من السبب في أنهم سيواصلون المضي قدما في إبرام إتفاقات طويلة الأجل مع المصافي في الصين).

وأحد هذه الاتفاقات هو إمداد مصفاة فوجيان في الصين التي تملك أرامكو السعودية الحكومية فيها حصة قدرها ٢٥ بالمئة. وتعتزم الرياض شحن ٢٠٠ ألف برميل يوميا الى مصفاة فوجيان هذا العام بعد أن بدأت المصفاة عمليات التشغيل في ٢٠٠٩. وتتطلع أرامكو أيضاً للاستثمار في مصفاة صينية أخرى وهي محطة تعمل بطاقة ٢٠٠ ألف برميل يوميا وتقع في ميناء تشينجداو في جنوب البلاد. ويسعى منتجون آخرون لإبرام اتفاقات مشابهة مع الصين. وترغب الكويت في بناء مصفاة في حين تتطلع قطر للاستثمار في محطة بتروكيماويات.

ومع تضاؤل الفرصة لبيع إمدادات قائمة أو اضافية في مكان آخر يسعى المنتجون أيضاً لبيع المزيد من النفط للصين في الأجل القصير. ووافقت السعودية على زيادة إمداداتها من النفط الخام الى

واشنطن تلعب بالورقة النفطية السعودية، بعد أن عجز آل سعود عن استعمالها في ميدان السياسة الدولية بطريقة تحقق مصالح الأمة

الصين ١٢ بالمئة في ٢٠١٠ مقارنة مع ٢٠٠٩ في حين وافقت الكويت على زيادة الامدادات ٥٠ بالمئة وقال العراق انه سيزيد شحناته من النفط الى الصين أكثر من الضعفين.

أمام هذه الفرص والتحديات، تدرك الصين بأن حاجاتها الملحّة من النفط لا يجب أن تدفعها إلى تبني سياسات راديكالية تفقدها حلفاء ثابتين، فيما تعلم سلفاً بأن العرض السعودي لا يخفي البصمة الأميركية، الأمر الذي يجعلها رهينة ابتزازات سياسية مستقبلية، بما يجعلها متمسّكة بتنويع مصادر شراء النفط مع احتفاظها بعلاقات متوازنة مع الدول المصدّرة.

إستطلاع لرأي السعوديين

الفساد يحتل المرتبة الأولى في السعودية

عمر المالكي

ثلث السعوديين مع ضربة عسكرية للبرنامج النووي الإيراني، وربعهم مع عملية اسرائيلية للقيام بذلك، وأكثر من الثلث مع تمويل المقاتلين المتطرفين في الخارج، ونحو ١٨٪ يؤيد القاعدة؛ وغالبية السعوديين يريدون انتخابات محلية، ويخشون التشدد الديني والفساد المالي

قياس اتجاهات الرأي العام في السعودية يتطلّب بعض الخدع للتغلب على الإنسدادات التي يفرضها أشد المجتمعات محافظة في الشرق الأوسط. إن مفهوم الرأي العام في دولة عالية السريّة كالسعودية يعتبر متناقضاً، فالحصول على معلومات صلبة يبدو صعباً، وماهو نادر للغاية هو معلومات حول القضايا الخلافية والاستراتيجية الخطيرة الجارية: النظرات حول العمل العسكري ضد إيران، الفساد، وحالة الحريات المدنية داخل المملكة، والتشدّد الديني والقاعدة، والتبرعات للمجاهدين الآخرين. وقد حصلت مجلة فورين بوليسي (في مقال نشر في ١٢ فبراير الماضي) على بعض المعلومات بالعمل مع نيو برينستون، وهي شركة تتخذ من ولاية نيو جيرسي مقراً لها، استطلاعات بيشتر الشرق الأوسط وفريق استطلاع اقليمي.

النتائج هي من النوع الذي يلفت الأنظار. فثلث الرأي العام السعودي يؤيّد ضربة عسكرية ضد البرنامج النووي الإيراني، وربعهم راغب بالقول بأنه يدعم عملية اسرائيلية. والغالبية العظمى من السعوديين يريدون انتخابات محلية، التي تم تأجيلها لمدة عامين. والغالبية العظمى تقول بأن الفساد والتشدّد الديني هي مشاكل خطيرة في البلاد. وفي الوقت نفسه، هناك ٣٦ بالمئة يعتبرون التبرّع لتمويل (المجاهدين المسلّحين الذين يقاتلون في أماكن متفرّقة من العالم) بكونه (واجباً دينياً) ولكن نصف هؤلاء يعلنون عن دعمهم للقاعدة.

على أية حال، فإن ماهو مثير في ذلك كله، أنه ليست من القضايا الساخنة يحتل مكانة عالية في أجندة الناس بالقياس الى القضايا الاقتصادية. في واقع الأمر، أن الغالبية من المواطنين في البلد النفطي يضعون التضخّم، والبطالة، والفقر باعتبارها أولوية وطنية الأكثر أهمية في السعودية.

جمع هذه المعلومات للتوصل الى نتائج كان تحديّاً فريداً، ولكنه ليس مستحيلاً. فهناك مجموعتان من المصاعب العملية التي تحدّ مستطلعي الرأي العام من العمل في هذه المجتمع المحافظ والمقيّد بشدّة: القيود السياسية والثقافية، والتحديات التحليلية. من حسن الحظ، فبعد ٢٥ سنة في هذا الحقل، تم تطوير بعض الخدع لجمع المعلومات في مجتمعات كهذه.

واحدة من الأدوات الثمينة الرائدة في هذه المنطقة خلال أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠ ـ ١٩٩١ هي حمل المسائل السياسية على استطلاع المنتج التجاري ـ حول السيارات، الشامبو، جمهور الاعلام، خطوط الطيران، كل شيء تقريباً. فمثل هذه الاستطلاعات هي الآن روتينية إلى حد ما في البلدان العربية، وأن هذه التقنية الإستطلاعية ذات الحدّين تحتفظ بسجل طويل وصلب. وهذه الاستراتيجية تنطوي على فائدة لتقليل بصورة كبيرة احتمالات تدخّل السلطات المحلية. وفي الوقت نفسه، لها قيمة

> **الغالبية من المواطنين في البلد النفطي السعودي الذين تم استطلاع آرائهم يضعون التضخّم، والبطالة، والفقر، الأكثر أهمية ضمن الأولويات الوطنية**

إضافية بجعل المستطلَعين في وضع مريح بأسئلة تكسر الجليد قبل الإنتقال الى القضايا الاجتماعية والسياسية الحسّاسة.

أحياناً يكون الانتقال من موضوع الى آخر قد يكون مزعجاً إلى حد ما، ولكنه يمضي. وخلال منتصف التسعينيات، أي حين كنت، يقول معدّ الاستطلاع، أرصد استطلاعاً في قرية عربية، دخلنا في مسائل سياسية مباشرة جداً خاصاً باستطلاع تسويقي طويل المدى حول الألعاب البلاستيكية لشركة ليجوس. أحد المستطلَعين كان على قناعة بأن ثمة رابطة ما بين السياسة وليجوس وكان يلحّ في الطلب مني بشرح كيف أن الموضوعين مترابطان. لم أكن متأكداً ما إذا كنت قادراً على إقناعة بأنه لم يكن هناك في واقع الأمر رابطة ما، سوى توفير التكفلة والراحة من ربط موضوعين منفصلين تماماً في استطلاع واحد. مهما يكن، وحتى هذه المقابلة أنتجت ردود فعل ثرية فكرياً وصادقة بوضوح حيال كل الأسئلة الواردة في الطلب، سواء حول ليجوس أو السياسة.

استطلاعات الرأي عبر الهاتف، رغم كونها سهلة التنظيم، إلا أنه يتم النظر إليها بريبة في الشرق الأوسط. ولذلك يقلل من شأن مقابلات من هذا القبيل، خصوصاً حين يتعلّق الأمر بقضايا خلافية. يلزم على من يجري المقابلات أن يكون من نفس المنطقة، ما يسمح لهم بالتموضع بسهولة في المجتمع، وأن يطمئن إلى أنه يستطلع آراء المواطنين السعوديين دون سواهم، وليس الملايين من العمال الوافدين من الناطقين باللغة العربية. أيضاً، فإن الأخذ بعين الاعتبار الإنقسامات على أساس الجنس (ذكر وأنثى) يبدو حيوياً: فالنساء تقابلن النساء، والرجال يقابلوا الرجال.

ظاهرة ثقافية سائدة أيضاً هي التردد الشائع بالإقرار بالجهل، حتى حول الأشياء الغامضة أو التافهة. ولذلك، حين تسأل ما اذا كان المستطلَعون مدركين لقضايا مختلفة، من المفيد تضمين الأسئلة أشياء غير حقيقية في القائمة، من أجل التوصل الى الحقيقة. في هذا الاستطلاع السعودي، ٧٠ بالمئة من الرأي العام السعودي قالوا بأنهم على وعي بمجلس الشورى في البلاد، والمعيّن من قبل الملك، بأنه مجرد مجلس استشاري، ومن النادر أن يساهم في صنع أخبار حقيقية. في المقابل، كنت أتمنى أن أسأل سؤال (ضبط) للتحقق من صلاحية هذه النسبة.

في استطلاع تجاري جرى مؤخراً في مصر والأردن، على سبيل المثال، سألت ما اذا كانت بعض أسماء الماركات أميركية أم لا، وفبركت ماركة باسم (جورج للملابس الرياضية) ووضعتها في

القائمة جنباً إلى جنب ماركات حقيقية مثل كريست لمعجون الأسنان، وزيروكس، ونيسكافيه. وبدا واضحاً، أن نصف المصريين والأردنيين عبّروا عن آرائهم حول ما اذا كان (جورج للملابس الرياضية) ماركة أميركية أم لا، بالرغم من كونها ماركة ليست موجودة على الإطلاق. وقد حصلت على نتائج مشابهة لأسئلة خيالية في اسرائيل أيضاً. الدرس المفيد الذي يمكن تعلّمه هو الحصول على نتائج مشابهة في هذه البلدان. لا أعرف على وجه الدقة لماذا يبدو مستطلعون في الولايات المتحدة وأوروبا مستعدين للاعتراف بأنهم لم يسمعوا مطلقاً بشيء كهذا، ولكن حين السؤال عن أمر آخر، فإنهم يعبّروا عن رأيهم على أية حال.

ترجمة الموضوعات قد ينجم أحياناً عن دلالات هامة. على سبيل المثال، في الاستطلاع السعودي الحالي، تم تقديم سؤال باللغة الانجليزية حول دعم (المجاهدين المسلحين). وفي البداية، ظهر السؤال في اللغة العربية ناعماً (المجاهدين المسلمين)، ولكن تم تصحيح السؤال قبل طبع أسئلة الاستطلاع.

وحين يجري الكلام عن التحديات الفريدة لإنجاز استطلاع شعبي تمثيلي في السعودية، فإن الطرق المثالية يجب أن تنسجم مع الحقائق المحلية. في مجتمع تقليدي كهذا، وحيث أن استطلاعات الرأي نادرة، فإن قلة من الناس التي تم اختيارها بصورة عشوائية ستدعو شخصاً غريباً تماماً الى منازلهم والإجابة عن أسئلة غريبة، وبلا شك ستكون هناك نسبة أقل من النساء من ستقبل بفعل ذلك. وللإنصاف، فإن النتيجة هي استطلاع غير مكتمل، ولكنّه ممثل عن مراكز السكان الرئيسية - وهو في المحصلة أفضل بكثير من العمل التخميني، والنتف، والتنميطات التي غالباً ما تمرر لتحليلات الرأي العام السعودي.

الطريقة المبدئية التي تم تطبيقها في السعودية هي استعمال عينات (هجينة). ولتحقيق ذلك، تم اختيار ما يقرب من ١٠٠ موقع بصورة عشوائية وتوزيعها بناء على الحجم السكاني. وفيما يقوم الإستطلاع المثالي على اختيار ملاك البيوت تحديداً بصورة عشوائية، أرغمنا على القيام باستطلاع المستجيبين تأسيساً على (الإحالة/التوصية) أو نموذج (كرة الثلج). في كل موقع، يحيل أحد المستطلعين من يجري المقابلة الى منزل آخر، لم يخضع للمقابلة - ويجري ذلك بحيث أن الناس لا يستطيعون (اقتراح) آخرين يعتقدون بأنهم سيعطون الأجوبة (الصحيحة). وبدلاً عن ذلك، فإن شخصاً ما في البيت الثاني يحيل من يجري المقابلة الى بيت ثالث وهكذا. بهذه الطريقة يتم اختيار المستطلَع الآخر، وهذه المرة يكون أيضاً بطريقة عشوائية. هذه هي الطريقة العملية الوحيدة في المجتمع السعودي بالنسبة لأجنبي يقف خارج جدران المنازل العالية للقيام باستطلاع.

في إجراء الاستطلاع الأخير، قمنا بمضاعفة عدد المقابلات الى ١٠٠٠ مقابلة - أي ضعف معدل استطلاعات عديدة للتأكد من أن استطلاعنا كان تمثيلياً. ولمزيد من الإطمئنان، تحققنا من ديمغرافية الاستطلاع (الجنس، العمر، التعليم، الطبقة الاجتماعية، الوظيفة) في مقابل الاحصائيات حول إجمالي السكان، وتعديل الأرقام في حال الضرورة. فتلك الإحصائيات يجب أن تكتشف من مئات الاستطلاعات السابقة لأن السعودية لا تعلن عن معلومات حول تعداد سكّاني تفصيلي.

بالإضافة إلى ذلك، ولأسباب لوجستية وعملية، فإن الاستطلاع هو مديني/حضري أكثر من كونه وطنياً. وقد جرى في ثلاث مناطق مدينية رئيسية: جدة، الرياض، الدمام/ الخبر، والتي تشمل المناطق الغربية، والوسطى والشرقية. وهذا يعني بأن هناك مناطق حضرية كبيرة الى حد ما قد تم إهمالها، بما في ذلك القلاع السنيّة الاصلية في مكة والمدينة في الغرب، والقصيم في الوسط. كما لم يشمل الاستطلاع منطقة القطيف ذات الكثافة الشيعية وما حولها في الشرق، التي لم تكن علاقاتها مع الغالبية السنيّة المهيمنة سلسة دائماً. فما نحن بصدده هنا هو استطلاع (القاطرة الرئيسية) للرأي العام السعودي.

فإلى أي حد يبدو ذلك مهماً، بالنظر الى أن السعودية ليست ديمقراطية حيث أن الرأي العام يمكن إطاحة الحكم أو حتى يؤثر على السياسة العامة؟ في الحقيقة هناك كثير من الحكومات العربية المستبدّة غير مكترثة، بنسب متفاوتة، حول السلوك الشعبي في مجتمعاتها. البعض، مثل مصر والأردن، يحتفظ بمستطلعي آراء رسميين ومنافسين لهذا السبب بالتحديد.

وحين يأتي الحديث عن القضايا الحساسة ذات العلاقة بالأمن الداخلي أو الخارجي، فإن الحكومات العربية تنزع نحو تجاوز الرأي العام. فخلال العقد الماضي، حافظت هذه الحكومات (السعودية ومصر والأردن) على علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة، بالرغم من أن استطلاعات الرأي أثبتت بأن حرب العراق حوّلت المشاعر الشعبية إلى اتجاه مناهضة الأميركيين بصورة حادة. الحكومة السعودية أبدت حتى الآن شهيّة ضعيفة لمكافحة جادة للفساد، بالرغم من أن الاستطلاعات تكشف بأن معظم الرأي العام يرى بأنه - أي الفساد - يعتبر مشكلة خطيرة. وقد تبنت مصر والأردن مواقف خشنة إزاء حماس، بالرغم من أن استطلاعات الرأي تشير الى أن المجموعة - أي حماس - مازالت تتمتع بشعبية (وإن كان أقل من السابق) في هذين البلدين.

بكلمات أخرى، فإن معظم الحكومات العربية تتعامل بصورة دائمة مع شعبيتها. وحين لا يكون هناك إمكانية لتجاوز الخيار والحسم، فإن الحذر غالباً ينتصر. على أية حال، فإن حاصل السياسة الدقيقة، هو غالباً خليط مبعثر من أمرين: الحذر والشعبية - على سبيل المثال، التعاون الحذر مع واشنطن، التلطي وراء إعلام رسمي وشبه رسمي مناهض للأميركيين. تحليل الرأي العام، حتى في هذه الدول المستبدة، هو الخطوة الأولى لاستكشاف احتمالية أن تكون قرارات السياسة العربية حاسمة أو فوضوية.

ماذا يريد السعوديون؟

كتبت ديفيد بولوك في (فورين بوليسي - السياسة الخارجية) في ١٢ فبراير مقالاً في ضوء نتائج الاستطلاع السابق بعنوان (ماذا يريد السعوديون)، قال فيه: إنه الإقتصاد يا أحمق. إنه الإقتصاد، لا الإسلام أو إيران أو إسرائيل ما ينظر إليه بصورة واسعة باعتباره الأولوية الوطنية العليا. فهناك ٤٠ بالمئة قالوا بأن وضعهم الاقتصادي الشخصي ازداد سوءً في العام ٢٠٠٩، فيما قال نحو ٣٦ بالمئة بأن وضعهم تحسّن. وهناك ربع من يتوقع الأفضل في العام ٢٠١٠.

وحول الدور الأميركي، سئل المستطلَعون عما يجب على الولايات المتحدة فعله في المنطقة، فإن المساعدة الاقتصادية والتقنية إحتلت المركز الأول، حيث نالت ٣٠ بالمئة من الاجابات. أما تشجيع الديمقراطية فتراجع الى حد بعيد، أي ٩ بالمئة فقط.



وبشأن اتجاه البلاد، فبالرغم من المخاوف الإقتصادية، فإن السعوديين راضون نسبياً حول اتجاه البلاد، فبينما قال ٥٤ بأنها تسير في الإتجاه الصحيح، قال ٣٩ بالمئة بأنها تسير في الإتجاه الخاطيء. وقال بولوك بأن ٥٩ بالمئة من الشباب يشعرون بأن السعودية كانت تسير في الاتجاه الصحيح. المقيمون في الرياض والدمام/ الخبر هم أيضاً الى حد ما يميلون الى هذا الرأي أكثر من نظرائهم في جدة.

الفساد: هناك نسبة عالية بصورة صادمة من السعوديين يذكرون الفساد، في الإجابة على سؤال مفتوح حول التحدي الضاغط في البلاد. وهناك كثيرون ذكروا التضخم والبطالة. في هذا الموضوع، تقول الغالبيات الكبيرة بأن الفساد هو مشكلة وطنية خطيرة (٧٤ بالمئة في الرياض)، (٨٥ بالمئة في الدمام/ الخبر)، ولكن في جدة تنخفض النسبة، دونما أسباب قابلة للشرح، الى ٤٢ بالمئة فحسب.

المحاكم الأميركية والبريطانية تعاقب شركة بي أيه إي

متى يعيد مرتشو اليمامة مسروقات الشعب؟

عبد الوهاب فقي

بين شركة أنظمة بي أيه إي الدفاعية والأمنية والفضائية البريطانية وبين السعوديين قصة فساد طويلة، هذا بكل بساطة تفسير العمولات التي رافقت صفقة القرن بقيمة ٤٣ مليار جنيه إسترليني (٧٥ مليار دولار)، الأمر الذي دفع بالشركة البريطانية للإذعان في نهاية المطاف الى حقيقة أنها قامت بعمل خاطىء بعد أن كشفت وزارة العدل الأميركية كيف أن الشركة البريطانية استعملت وسطاء لإخفاء الأموال، المدفوعة في هيئة رشاوى.

ديفيد ليغ، وروب إيفانز من صحيفة الجارديان تعقّبا على مدى زمني طويل نسبياً قصة العمولات والرشاوى التي تكشّفت بعض تفاصيلها من خلال أول مرة وثائق الصفقة المبرمة بين واشنطن ولندن العام ١٩٨٥ والتي رفعت عنها السريّة في بريطانيا بعد مرور عشرين عاماً عليها، ومن ثم المعطيات الجديدة التي كشف عنها مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير.

في ٥ فبراير الماضي كتب ليغ وإيفانز بأنه بعد سنوات من إنكار مزاعم الفساد والرشاوى، إعترفت أخيراً الشركة بأن الشركة قد اختلطت بأعمال مشينة. وزارة العدل الأميركية سجّلت استنكاراً ينطوي على حقيقة كون بي أيه إي وافقت على أنها متّهمة. ويقول قرار الإتّهام، من بين اتهامات أخرى، بأن بي أيه إي (استعملت كيانات وهمية لإخفاء العمولات لعدد محدّد من المستشارين الذين ساعدوا في..صفقات الطائرات السعودية). ويمضي القرار الإتهامي لإعطاء أمثلة منها: (وافقت بي أيه إي على نقل مبالغ تصل في مجموعها الى أكثر من ١٠ ملايين جنيه وأكثر من ٩ ملايين دولار أميركي إلى حساب بنكي في سويسرا خاضع تحت سيطرة وسيط. وكانت بي أيه إي تدرك وجود إحتمالية عالية بأن الوسيط سينقل جزءً من هذه العمولات/المدفوعات الى مسؤول سعودي).

بالنسبة لعار بريطانيا، فإن هذه الاعترافات كانت بي أيه إي قد أرغمت عليها، ولكن ليس من قبل المحققين البريطانيين، وإنما من قبل محققين في دولة أخرى.

الرهانات حول صفقة (اليمامة) كانت دائماً عالية. وكانت الصفقة مربحة بصورة غير متوقّعة بالنسبة لشركة بي أيه إي في ذلك الوقت، بما يولّد دخلاً يقدّر بـ ٤٣ مليار جنيه استرليني وتبقي الشركة تسبح على السطح لأكثر من عقدين من الزمن.

ولذلك كان من المهم بالنسبة لرئيسة الوزراء مارجريت ثاتشر، لأن تتدخل للمساعدة في لتمضية العقد طويل الأجل في العام ١٩٨٥. وكان من يقف خلف السياسيين في حفل التوقيع، الأمير المبتسم بندر، إبن وزير الدفاع وولي العهد سلطان. وقد أصبح فيما بعد واضحاً لماذا كان الأمير بندر بن سلطان مسروراً بتوقيع الصفقة. أي بعد أن تكشّفت حقائق الرشاوى التي حصل عليها الضالعون في صفقة اليمامة، بمن فيهم الأمير بندر نفسه الذي حصد مايعادل ملياري دولار، إضافة الى هدايا ثمينة لا يمكن حصرها، منها طائرة ايرباص حديثة.

الإتفاقية كانت جوهرية وتتعلق بمعدات عسكرية باهظة الكلفة. في المرحلة الأولى، باعت بريطانيا السعودية ٧٢ طائرة تورنادو، و٣٠ طائرة تدريب من طراز هاوك، و٣٠ طائرة تدريب أخرى. وفي المرحلة الثانية تم تسليم ٤٨ طائرة تورنادو في الصفقة التي تم الاتفاق عليها في العام ١٩٩٣، وأما المرحلة الثانية، فتم الاتفاق عليها بعد نهاية تحقيق

في حفل توقيع (اليمامة) كانت إبتسامة الأمير بندر ساطعة، وبعد افتضاح رشوته بملياري دولار، اكتشف المراقبون سر الابتسامة

مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطاري، الذي يتعلق ببيع ٧٢ طائرة يوروفايتر تايفون.

صحيفة (الجارديان) بدأت تحقيقها المطوّل في بي أيه إي العام ٢٠٠٣. وحصلت الصحيفة على دليل يثبت بأن الشركة كانت تقوم بضخ أموال/رشاوى عبر شركات تمويهية لتوفير عمولات ومغريات فاخرة لمسؤولين سعوديين. وماتكشف لاحقاً كان مثيراً حول سماسرة الأسلحة الذين أنفقوا مبالغ ضخمة لإبقاء رأس القوة الجوية السعودية راضياً.

ولكن تلك المبالغ أثبتت نسبياً بأنها قليلة بالمقارنة مع ما تكشّف لاحقاً من مبالغ ضخمة قدّمت كرشاوى في الصفقة. واكتشفت الجارديان بأن بي أيه إي كانت تدفع مبالغ سرية لعملاء موثوقين حول العالم عبر نظام عالمي لشركات مجهولة الهوية في البحار.

فقد كانت شركة مالية غير معلنة تدعى (الجوهرة الحمراء) تعمل كمغسلة أموال ضخمة. وهناك كيان آخر موازي يدعي بوسايدن قام بتسهيل مجموعة من العمولات المالية السعودية.

أو، كما تضعها وزارة العدل في واشنطن، (قامت بي أيه إي بخطوات لإخفاء علاقاتها مع..مستشارين وكذلك مدفوعاتها غير المصرّح بها إليهم. على سبيل المثال، قامت بي أيه إي بالتعاقد مع والدفع الى عدد من المستشارين عبر كيانات وهمية متعددة في البحار تملكها بي أيه إي. كما شجّعت بي أيه إي بعض مستشاريها لتأسيس بعض الشركات الوهمية في البحار لاستقبال عمولات واخفاء هويات واستلامات هذه المدفوعات).

وزارة العدل الأميركية قالت بأن شركة الاسلحة - بي أيه إي - شغّلت نظاماً مخادعاً لعمولات صريحة ومبطّنة بالتوازي لعملائها، الذين بات بإمكانهم لاحقاً استعمال الإمدادات السرية من المال النقدي لدفع الرشاوى. ويقول بيان الوزارة بأن (بي أيه إي احتفظت ودفعت لنفس مستشار التسويق لاستعمال شركة في البحار أو بدونها).

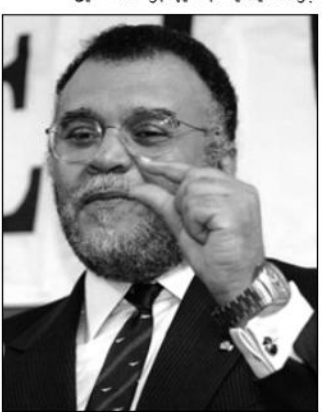
في بريطانيا، فإن مكتب التحقيقات في الغش التجاري الخطير فتح تحقيقاً في ٢٠٠٤. وبدأ المحقّقون في المكتب بالإقتراب تدريجاً الى العائلة المالكة السعودية، فأماطوا اللثام عن دليل حول مبالغ طائلة تم دفعها الى حسابات بنكية سويسرية على صلة بوسطاء من قبيل الملياردير وفيق سعيد وثيق الصلة بالعائلة المالكة.

في سبتمبر ٢٠٠٦، كان السويسريون متأهبين للكشف عن سجلاّت بنكيّة لمكتب التحقيق في الغش التجاري البريطاني. وبدأت الشركة - بي أيه إي - ولوبياتها بحملة عامة للتحذير بأن أعداداً كبيرة من الأعمال في صناعة السلاح قد تتلاشى.

خلف المشهد، كان السعوديون يطلقون تهديداتهم أيضاً. وزعموا بأنهم سيقومون بإيقاف تقديم معلومات استخبارية حيوية حول إرهابيي القاعدة الى الحكومة البريطانية في حال سمح للتحقيق بالاستمرار. وتم إبلاغ محققي مكتب

التحقيق في الغش التجاري الخطير بصورة درامية بأنهم قد يواجهون (٧ يوليو آخر) وأيضاً خسارة أرواح بريطانية على شوارع بريطانية) إذا ما واصلوا التحقيق.

ونقل بأن السعوديين حدّدوا مهلة نهائية لوقف التحقيق خلال اسبوعين، وفي ديسمبر ٢٠٠٦، وقف اللورد جولدسميث، والمدّعي العام لاحقاً، في مجلس اللوردات ليعلن عن وقف التحقيق. وقد بدا واضحاً بأن توني بلير كتب رسالة (سرية وشخصية) الى جولد سميث يطالبه فيها بوقف التحقيق.



أحد أباطرة الفساد

وتمنى صفقة أسلحة جديدة من السعوديين. الى جانب ذلك، زعم بلير، بأن هناك (خطراً حقيقياً ومباشراً من انهيار التعاون الأمني والاستخباري والدبلوماسي البريطاني/السعودي. وقال رئيس الوزراء بأنه (سيفشل في مهمته) في حال لم يجعل وجهات نظره معروفة.

في داخل مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير، لم تأخذ تلك التهديدات أهميتها بل جرى تخفيضها، على أرضية أنها كانت تأتي من الأمير بندر نفسه، وهو المتلقي لأكبر عمولة من شركة بي أيه إي.

ولم يكن ذلك نهاية الأمر. في ٢٠٠٧، كشفت صحيفة (الجارديان) بأن المزاعم التي كان مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير يحقق بشأنها شملت دفع بي أيه إي بصورة سرية أكثر من مليار جنيه إسترليني للأمير بندر عبر بنك أميركي، إضافة إلى تقديم هدية مجانية له عبارة عن طائرة.

قررت وزارة العدل الأميركية فتح تحقيقها الخاص. وفي القلب منه، كانت المزاعم بأن بي أيه إي كانت تدفع ٣٠ مليون جنيه إسترليني كل ثلاثة شهور ولمدة عقد على الأقل إلى الأمير الملوّن ـ أي بندر بن سلطان.

وكان بإمكان المحققين الأميركيين أن يصدروا حكماً حيث أن العمولات كانت تتم عبر بنك أميركي في واشنطن حيث كان بندر السفير السعودي لمدّة عشرين عاماً.

رفضت الحكومة البريطانية تسليم وثائق حول عمولات بندر لمساعدة المحققين الأميركيين، وهي العمولات التي كانت تتم بمعرفة وتصريح مسؤولي وزارة الدفاع. وزراء زعموا مدة عشرين عام بأنه لم تكن هناك عمولات مالية سرية، ووعدت شركة بي أيه إي بصورة رسمية الحكومة الأميركية بذلك أيضاً في رسالة رسمية العام ٢٠٠٠ الذي أثبت فيما بعد بكونه عاراً وفضيحة.

٢٨٥ مليون جنيهاً عقوبة فساد اليمامة

قبلت شركة الأسلحة البريطانية بي أيه إي سيستمز الذنب ووافقت على دفع العقوبات في الولايات المتحدة والمملكة المتّحدة بما يصل الى عدّة مئات من الملايين من الجنيهات الاسترلينية لتسوية ادعاءات الفساد ضدها طويلة المدى.

وبموجب الصفقة، أعلنت بي أيه إي، في وقت متزامن في لندن وواشنطن، بأنها ستقوم بدفع ٤٠٠ مليون دولار (نحو ٢٥٥ مليون جنيه) في الولايات المتحدة و٣٠ مليون جنيه في المملكة المتحدة.

في الولايات المتحدة، فإن الشركة ـ بي أيه إي ـ ستواجه تهماً بتقديم رشاوى في عقود الأسلحة الخاصة بصفقة اليمامة مع السعودية والتي تمتد لأكثر من ٢٠ عام، وكذلك مزاعم رشاوى حول عقود أسلحة وسط أوروبا.

وبموجب الاتفاق مع مكتب التحقيق في الغش التجاري في المملكة المتحدة، فإن المكتب يقتصر في تحقيقه على صفقة واحدة من الأسلحة فقط، والتي بموجبها تم بيع أجهزة رادار عسكري بأسعار عالية الى تنزانيا. وقال مكتب التحقيقات بأن (بعض المال النقدي سيصبح مدفوعات طوعية لصالح شعب تنزانيا).

بي أيه إي، التي أعلنت ندمها وقبلت (المسؤولية الكاملة لتقصيراتهم السابقة)، وقال بأن التسوية ستسمح لها بـ (التعامل في النهاية مع قضايا ماضية هامة)، والتي ألقت بظلالها على الشركة.

ديك أوليفير، الذي تم تعيينه رئيساً في العام ٢٠٠٤، قال بأن بي أيه إي أخفقت في الالتزام الذي قطعته للحكومة الأميركية في العام ٢٠٠٠ بالامتثال والالتزام بالمقتضيات التشريعية الأميركية في فترة محدّدة. بالنسبة لتنزانيا، فإن بي أيه إي أخفقت في تسجيل دفعات العمولات لدى مستشار تسويقي.

وقالت الشركة بأنها في غضون تلك السنوات منذ الحادثة، قامت بتعزيز وبصور منظّمة بسياسات واجراءات الإلتزام.

محللون قالوا بأن بي أيه إي خرجت من المأزق بخسارة أقل. فبالرغم من كونه رقماً كبيراً، إلا أنه السيناريو الأقل سوءً، بحسب يتنا كوك في بروكريج تشارلز ستانلي لوكالة رويترز، ولفتت الى التقارير الاعلامية الأولية التي أفادت برقم يصل الى مليار جنيه استرليني من قبل مكتب التحقيقات في الغش التجاري، والذي تم إعادة النظر فيه وتخفيضه إلى ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ مليون جنيه. كما أزالت العائق المسدل على سعر السهم العائد الى الغموض حول التحقيقات. فقد كانت أسهم بي أيه إي مرتفعة إلى نحو ٢,٢ بالمئة في التجارة الآجلة، حيث رحّب السوق بأخبار العقوبة التي لم تكن مرتفعة بالقدر الذي يخشى منه.

ناشطون في حملة مكافحة الفساد إعتقدوا بأن بي أيه إي كانت تعامل بصورة ناعمة من قبل السلطات. وقالت حملة ضد تجارة الأسلحة: (أن الحملة أصيبت بخيبة أمل شديدة كون الإتهامات حول بي أيه إي لن يتم بثها في المحكمة الجنائية وأن مكتب التحقيقات في الغش التجاري سيقبل المقايضات ذات الصلة فحسب بالصفقة الأصغر).

في ديسمبر ٢٠٠٦، أسقط مكتب التحقيقات في الغش التجاري ـ وسط أجواء قلق بالغ ـ تحقيقات الفساد في عقود الأسلحة بين بي أيه إي والسعودية بعد تدخل مباشر من توني بلير، الذي كان حينذاك رئيساً للوزراء. وقد دافع عن القرار على أرضية أن السعوديين سيوقفون تعاونهم في القضايا الأمنية. الجماعات المناهضة للفساد إنتقدت بشدة توني بلير وفي ٢٠٠٨ عبّرت منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية عن خيبة أملها وقلقها البالغ بالفشل المستمر في المملكة المتحدة لتحديد مواطن الخلل في القوانين حول الرشوى للمسؤولين الأجانب وكذلك إمكانية الرشاوى الخارجية.

في تقويم مستقل لممارسات بي أيه إي في سنة ٢٠٠٨ حثّها على تبني إجراءات صارمة لمقاومة الفساد وكذلك تبني النظام الاخلاقي الدولي في التعامل التجاري. المقترحان كانا من بين ٢٣ توصية قدّمتها لجنة مستقلة برئاسة اللورد ولف، الرئيس السابق للعدل، بعد دراسة استغرقت عاماً.

وقال (إما أن تصبح بي أيه أيه شركة أخلاقية، وهذا يتطلب رفض الانغماس في بعض العقود، أو أن لا تصبح شركة أخلاقية بصورة كاملة بما يوصلها الى المستوى الذهبي الذي عرّفناه. فهناك عقود لا يستحق الحصول عليها، وقد تتسبب في إحداث أضرار على المدى البعيد على الشركة، وأن الشركة يجب أن تقبل ذلك).

شجّعت بي أيه إي بعض مستشاريها لتأسيس شركات وهمية في البحار لاستقبال عمولات واخفاء هويات واستلام تحويلات مالية ونقلها الى الفاسدين

تحوّلات المملكة بين دعاية الأمراء وحقائق الناس

سعد الشريف

من تنتدبهم السعودية للخارج للترويج للتطوّر المزعم في المملكة، أشبه ما يكونوا بالفواكه المصدّرة للخارج، التي عادة ما تكون متميّزة كونها خاضعة لشروط التصدير، فيما لا تجد أثراً لها أو نظير في الأسواق المحلية. أو هي أشبه بمعامل تابعة لشركات أجنبية يعمل فيها موظّفون محليون ولكن منتجاتها مخصصة للأسواق الخارجية، والسبب هو ببساطة أن الأيدي العاملة في بعض البلدان رخيصة بالمقارنة مع الشركة في بلد المنشأ.

كل الذين يتحدثون في منتديات عالمية وخصوصاً أوروبية وأميركية عن تحوّلات تقودها الدولة السعودية ممثلة في الملك عبد الله لا تجد أصداء لهم في الأوساط الاجتماعية وليس الاعلامية في الداخل، لأنها بمثابة شهادات زور على واقع لم يتحقق، أو هي مجرد قائمة تمنيات يراد تسويقها على أنها وقائع. والحال، أن الهدف ليس أكثر من تلميع صورة دولة باتت عاجزة عن تسويق نفسها، بفعل الاقترافات التي ترتكبها في الداخل والخارج وتقدّم الصورة الحقيقية عن السعودية، بوصفها مصدراً للتطرف الديني، والاستبداد السياسي، وأبرز من يصدق عليه نظام قمعي مصادر للحريات الفردية والعامة، ومناهض للإصلاح السياسي.

نصدّق أن ثمة تحولات كبيرة ولافتة في المجتمع، ونصدّق أنها تلعب دوراً الآن في قيادة الدولة الى قرارات هامة في الفترة القريبة المقبلة..ونصدّق كل ذلك وأكثر منه، ولكن حين نستمع إلى وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل وهو يتحدث لوسائل إعلام أجنبية عن صورة السعودية، يصيبنا اليأس ونقرر التراجع عن إقرارات سابقة. لم ننس وقتئذ تصريحه بعد يوم من اعتقال الاصلاحيين في منتصف مارس ٢٠٠٤، حين قال (الآن بدأ الاصلاح)، في قلب لحقائق كثيرة منها أن اعتقال الاصلاحيين أجهض فرصة الإصلاح، ووضع حداً حتى للحديث عنه. ويذكّرنا بكلام لأخيه الأمير تركي الفيصل بعد تعيينه سفيراً في لندن في مقابلة مع اذاعة بي بي سي القناة الخامسة، حين اعتبر أن ما يحول دون تقدّم الدولة وتحوّلها السياسي بوتيرة متسارعة هو المجتمع نفسه، على أساس أن العائلة المالكة لديها من الأفكار الإصلاحية والتحرّرية أكثر مالدى أي جهة أخرى، وأنها متقدّمة على المجتمع.. ليته صدق ولم يخيّب هو وأخوه آمال غالبية الناس التي كان ينتظر منهما تأييد الاصلاح السياسي بدلاً من التحوّل الى بوق وهمي.

من المفارقات المثيرة أن يضطلع أبناء الملك فيصل (سعود وتركي وخالد وأخيراً لؤلؤة) مهمة إعادة طلاء صورة الدولة السعودية في الخارج. قد ينظر المراقبون الى ذلك من جهة أن هؤلاء هم الأكثر تعليماً من بين أحفاد عبد العزيز، والأقرب الى ذهنية الغرب، فهم يحظون، أكثر من غيرهم، باحترام وتقدير الدوائر السياسية والإعلامية والثقافية الغربية، إلى جانب اتقانهم اللغة الانجليزية. بيد أن هذا الدور بات مكلفاً في الداخل، فقد تسبب

الدور الذي يلعبه سعود وتركي الفيصل في الخارج بات مكلفاً في الداخل، فقد تسببا في إحداث تشويه للدور الافتراضي الذي يمكن أن يلعباه في الحراك السياسي

في إحداث تشويه للدور الافتراضي الذي يمكن أن يلعبه هؤلاء في الحراك السياسي والثقافي الداخلي عوضاً عن الانغماس في أدوار فادحة الأثر والنتيجة. فهل يعقل أن يتحوّل سعود وتركي الى جبهة التشدد في العائلة المالكة، وإن بدا المشهد مواربا من حيث أن سعود الفيصل يقود السياسة المتشدّدة ضد إيران فيما يضطلع تركي الفيصل بمهمة خلق مناخ التطبيع مع الدولة العبرية.

في حديث وزير الخارجية سعود الفيصل مع صحيفة (نيويورك تايمز) في ٣ مارس عن وتيرة التحوّلات الداخلية في السعودية، بدا وكأنه يحاول فصل المؤسسة الدينية الرسمية عن الدولة، في محاولة لإعادة تركيب المشهد السعودي، وتقديمه على أنه يشهد تحوّلات تاريخية بما يوحي وكأن الدولة هي من تقف وراء ذلك، وليس قوى الاصلاح المحلية التي تخوض معركة مع الدولة من خلال المنازلة مع حليفها الديني.

لدى سعود الفيصل مفهوم مختلف عن الليبرالية، فهو حين يقول بأن (عجلة التقدم والانفتاح لا رجعة عنها وان جهود بناء مجتمع ليبرالي بدأت) وضع ذلك في سياق مختلف، حين عقد مقارنة بين السعودية والدولة العبرية، على أساس انفتاح الأولى وتشدّد الثانية. قد يحمل البعض هذه المقارنة على نفي المقولة السائدة بأن اسرائيل دولة ديمقراطية في محيط استبدادي، ولكن كلماته واضحة فهو يتحدث عن انفتاح وتشدّد، وكأنه يلمح الى قضية سياسية أكثر من كونها إجتماعية أو ثقافية، إذ لا يمكن مهما قيل عن طغيان وعدوانية الدولة العبرية، فهي بلا شك أكثر انفتاحاً على مستويات إجتماعية وثقافية وإعلامية من السعودية، بل لا قياس بينهما في هذا الشأن.

ربما تكون النقطة المفصلية في كلامه للصحيفة الأميركية قوله (أن المطاوعة ورجال الدين الذين ينفثون فتاويهم بين فترة واخرى يعبرون عن احباط ولا قدرة لهم لاعادة عقارب الساعة للوراء). وهذا صحيح، لولا أنه يصح صدوره عن مثقف إصلاحي عانى من ويلات فتاوى التكفير، التي في الغالب تصدر بغطاء من الدولة التي يمثّلها سعود الفيصل، وبالتالي فكلامه ليس أكثر من مصادرة ثقافية لنضال الاصلاحيين طيلة عقود، وتصاعد في السنوات

الأخـيرة، فهو لم يكن أكثر من ناقل لحقيقة لم يكن هو من صنعها وليست الدولة وإنما هي حصاد المعاناة التي عاشها المثقفون والإصلاحيون، وهم وحدهم من صمد في وجه الذين عكفوا لفترة طويلة على استصدار فتاوى التهويل حتى أصابهم الإحباط بفعل صمود التيار الإصلاحي العريض في المجتمع.

ينسحب الأمـر أيضـاً علـى كـلامـه في موضوعة قيادة المرأة للسيارة، حين صادر نضال مئات النساء اللاتي ناضلن من أجل إرغـام الدولـة على الاقـرار بأبسط حقوقهن في الحياة، ومنها الحق في استعمال وسائل المواصلات والاتصال بما يحقق حاجاتهن ويحول دون تعريضهن للإبتزاز من قبل الغير. في سؤال الكاتبة والمعلقّة في صحيفة (نيويورك تايمز) مورين دوود التي أمضت عشرة أيام في السعودية لرصد ظواهر التحول في الداخل، عن موعد السماح لهن بقيادة السيارة وهل هو جديدة في البلاد، ودائمـاً في مقابل النزعة اليمينية المتطرّفة في اسرائيل، ولا نعرف سبباً للإصرار على استحضار النموذج الاسرائيلي في كل مـرة، هـل لذلك علاقة بالمشتركات بين الدولتين أو بـالتطبيع؟ ربما. الصحافية استعادت الصورة الأوليّة لكل من الكيانين، السعودي والاسرائيلي، وقالت بأن (المثير في حديث الوزير الأمير أن بلده دولة حكم ملكي مطلق تحكم أكثر دولـة تديناً وتعصباً على وجه البسيطة، أما الدولة الدينية والإضطهادية اسرائيل فهي دولـة ديمقـراطيـة). وكأنها، بموجب هذا التصوير، تريد القول بأن مقارنة الأمير سعود الفيصل باطلة ولا معنى لها.

مـاجـاء في تفاصيل المقـارنـة هـو ما استوقف الصحـافية، حين قـال الأمـير بأن البلاد تعيش مرحلة (تحلل من قيود الماضي) وتتحرك ناحية (إنشاء مجتمع ليبرالي)، أما في المشهد الاسرائيلي، حسب قوله، فإن ثمة تحرّكاً استحضرت مفاهيم وردت في كـلام الأمـير سعود الفيصل لتضعه في نصابه الفكري والسياسي، فكلامه عن التقدّم في المملكة لم تـأخذه على عواهنه، بل وضعته على محك مـارصدته من مشاهداتها اليومية، فقد لاحظت، مثلاً (أن السعوديين يتحركون بعيداً عن التمييز العنصري ضد المـرأة والاضطهاد وإن كان تحركاً بطيئاً بمقاييس حركة مجرة جليدية). وتمضي في تعليقها بما نصه (فلا زالت القوانين الصارمة ومحاولات تقييد الحريات)، وتسجّل ملاحظة هنا يوم وصولها الى الرياض حيث (ترافق مع محـاولات هيئة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكربمنع الاحتفال بعيد الحب)، حيث وصفتها بأنها (مجزرة عيد الحب)، إذ قام المطاوعة بمنع الورود الحمراء والدمى وداهموا المحلات التي وضعت مصابيح مشعة. وأشارت إلى تصريحات علماء قالوا بـأن الإحتفال بالعيد صورة آثمة لأنه يشجّع العلاقات غير



آل الفيصل (سعود، تركي، خالد، لولوة): بوق السعودية الدعائي في الخارج

قريب، وبإمكان المرء أن يضع السؤال أيضاً في مقارنة سعود الفيصل بين دولته والكيان العبري، أجاب بالقول (آمل ذلك)، ولكنه تنبّه إلى أن الإجابة تنطوي على أمد مجهول، كيف وهو يتحدث عن وتيرة متسارعة في التحوّل الداخلي فخاطب الصحافية قائلاً (في الزيارة القادمة إحضري معك رخصة سياقة دولية). نتمنى أن لا يوضع إسم الصحافية في قائمة الممنوعين من دخـول المملكة، أو أن يطول غيابها لسنوات قبل أن يسمح لها بالدخول الى المملكة حتى لا يتأخر موعد السماح للنساء بقيادة السيارة في الحد الأدنى، قبل أن يسمح لهن بالمشاركة في صنع القرار السياسي.

كانت الصحافية متشائلة من كلام سعود الفيصل، وهـذا طبيعي، لأنـه اعتاد أن ينقل صورة ورديـة عما يجري في الداخل، إضافة الى خبرته الطويلة مع الصحافة الأميركية مـا يجعله قـادراً على (الخـداع). ومـع ذلك، خرجت مورين دوود من المقابلة بـانطباع مـوارب، وأشارت الى ما وصفه موجة تنوير (نحو مجتمع يحدد ثقافته وسياسته الدين مما يشكل له حسا متطرفا بالهوية الوطنية وأن هذا المجتمع يتحرك نحو حافة الغليان). وهنا لفتة هـامة أوردهـا الأمير دون شعور، فكأنه يقارن بين نزعتين دينيتين متطرفتين في كيانين ينظر مراقبون الى وجود مشتركات بينهما، ومنها أن كلاً منهما يستمد مشروعيته من دعوى دينية تنزيهية وفي نفس الوقت إقتلاعية.

كل ما شغل ذهن الأمير سعود الفيصل أن المؤسسة الدينية الاسرائيلية تقوم بإحباط كل محـاولـة للسلام، وهـذا صحيح، لكونها تتمتّع باستقلالية الى حد كبير، على العكس من المؤسسة الدينية السعودية، التي صدرت عنها فـتـاوى متضاربة بحسب السياسات المتنباة من قبل الحكومة السعودية، لأنها مؤسسة تابعة وخاضعة لإملاءات الدولة، فبعد أن كانت هناك فتوى تحرّم الصلح مع اليهود في اسرائيل، تبدّلت الفتوى الى الجواز بحسب المصلحة.

على أيـة حـال، فـإن الصحـافية دوود السويّة أخلاقياً بين الرجال والنساء.

ترصد إرهـاصـات تحـوّل مثل السماح للمحاميات بممارسة مهنة المحاماة عبر الظهور في المحاكم للدفاع عن قضايا تتعلق بشؤون المرأة وبموكلات من النساء، وكذلك افتتاح جامعة كاوست للعلوم والتكنولوجيا، ومشاريع الاسكـان المفتوحة التـي تسمح بالتواصل الاجتماعي بحرية. ولكنّها تعلق بالقول (وتظل الانجـازات والتحولات خطوات تشبه خطوات الطفل الاولى ومع ذلك تعتبر محفزات للتغيير). وتستدرك دوود للقول بأن الخطوات الصغيرة في المملكة بالمقارنة مع العالم الخارجي، تعتبر في هذا المكان بالذات تغيّرات إجتماعية (كارثية).

هذه الصورة الخلافية، تكرّرت في كلمة الأمـير لولوة الفيصل، شقيقة الأمـير سعود الفيصل، في مجلس الشيوخ الفرنسي في ١١ مارس الجاري، وبحضور شقيقها الأمير خالد الفيصل، أمير منطقة مكة المكرمة ونخبة من السعوديات والسعوديين. الكلمة بعنوان (نظرات

في المجتمع السعودي)، جاءت استعراضية بكل مافي الكلمة من معنى، من خلال الحديث عن المنجزات (حتى لا نخطأ ونقول الاصلاحات) السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

هذه الفعالية حدثت تحت رعاية رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي، جيرار لارشيه، و بمبادرة من (معهد إستراتيجيات التنمية الثقافية) و(المجموعة البرلمانية للصداقة بين فرنسا– السعودية – دول الخليج)، التي يرأسها عضو مجلس الشيوخ، السناتور فيليب ماريني. وجاء في بيان المجموعة البرلمانية الفرنسية بأن السعودية مكوّن رئيسي في منطقة الشرق الأوسط، وأنها (كثيراً ما تتناول من الناحية الجيوسياسية أو من الزاوية النفطية، لكن معرفة المجتمع لدى الفرنسيين من حيث تطور المجتمع السعودي لا تزال مجهولة أو سيئة المعرفة). فالهدف بحسب البيان (تحسين معرفة المجتمع السعودي، من خلال الاستفادة من شهادة مسؤولين سعوديين و إلقاء الضوء على التغييرات والإصلاحات التي شهدتها المملكة)، خاصة منذ تسلم الملك عبد الله مقاليد الحكم في أغسطس ٢٠٠٥.

خالد الفيصل كان أحد المشاركين وكان، شأن الأمير سعود الفيصل، مبالغاً بإسراف في تصوير التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المملكة، وكأنها (هبات) من الملك والعائلة المالكة للشعب، وليست حصيلة نضالات قوى إصلاحية بدرجة أساسية. تحدّثت الأميرة لولوة عن مسيرة تعليم البنات والتحوّلات التي مرت بها، وتحدّثت الدكتورة إلهام دانيش، موظفة في وزارة الخارجية السعودية، عن (دور المرأة في المجتمع المدني)، فيما تحدثت الصحافية لينا المعينة عن (المرأة والرياضة)، و تناولت سمر فطاني، التي تعمل في إذاعة جدة، موضوع (المرأة والإعلام)، بينما خصّصت الدكتورة أفنان الشعيبي، الأمين العام للغرفة التجارية العربية – البريطانية، كلمتها للحديث (دور المرأة في الاقتصاد السعودي). بكلمة أخرى، أن الكلمات تندرج في إطار حفلة دعائية عن المملكة. وهي كما أشارت دوود الى أن الجزء الحقيقي منها قليل والباقي يتراوح بين تمنيات أو شهادات زور لواقع لم يتحقق على الأرض، سوى في الصور الافتراضية التي ينقلها المنتدبون والمنتدبات الى الخارج.

صورة أخرى عن المجتمع

في مقالته في صحيفة (الوطن) في ٥ مارس الجاري، بعنوان (الاحتقان العام في المجتمع السعودي) كتب سعود البلوي:

المجتمع السعودي مجتمع شابّ، إذ يشكّل الشباب نسبة كبيرة من مجموع المواطنين بحسب بعض الإحصائيات، كما أن متوسط أعمار السعوديين زاد عن الماضي، فأصبحت فرص الشباب في بناء الوطن أكثر من آبائهم، وخاصة أن السعوديين بشكل عام باتوا أكثر وعياً بذواتهم، وبالعالم من حولهم، وخاصة بعد الثورة الهائلة في وسائل الاتصال والتواصل التقني التي فرضت ظروفاً جديدة في عالم متشابك، يختلط فيه الواقعي بالافتراضي، فكان لزاماً على الفرد التعبير عن نفسه والتفكير بما يدور حوله.

ولكن هذا المجتمع يعيش احتقاناً فرضته ظروف سابقة، وبعد الانفتاح الذي أصبح يعيشه أصبح هناك حاجة إلى بعض أشكال (التفريغ)، إذ يمكننا ملاحظة مدى تأثير الاحتقان العام في المجتمع السعودي على سلوكيات بعض الأفراد، سواء في الأماكن العامة التي غالباً ما يلجأ الأفراد فيها إلى الانضباط، إلا أن الجو العام يوحي بهذا الاحتقان الذي يمكن أن نقرأه، ليس من خلال الحوادث الفردية التي نراها في الشارع أو في الأماكن، بل من خلال بعض الحوادث التي تأخذ طابع الرأي العام، كمحاولات الإنتحار علناً، أو الاعتداء على الممتلكات العامة– كما حدث في الخبر– أو تعبير زوجين عن خلافهما من خلال لافتات تعلق في المرافق العامة، ويمكن للراصد أن يتتبع صوراً مختلفة عبر مواقع الإنترنت والقنوات الفضائية الشعبية...

لا نعرف سبباً لإصرار الأمير سعود الفيصل على استحضار النموذج الاسرائيلي في كل مرة، هل لذلك علاقة بالمشتركات بين الدولتين أم بالتطبيع؟

أما في اجتماعات الناس ولقاءاتهم الخاصة فإن الأحاديث غالباً ما تأخذ شكل الحوار والاختلاف في الرؤى التي لا تتمحور حول أوضاعهم الخاصة، بقدر ما تعبر عن الوضع العام، ليس فقط على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي الذي أصبح يفرض نفسه كواقع يؤثر على الحالة النفسية للفرد والمجتمع على السواء، وإنما أيضاً على المستوى السياسي والوطني في ظل الظروف الإقليمية والدولية الراهنة، وأصبح السعوديون أقل تحفظاً من التعبير عن آرائهم، إذ غالباً ما يتحدثون بشفافية أكثر عن أمورهم الداخلية، يحللون الأوضاع ويحاولون قراءة المستقبل، وربما تحدثوا عن البحث عن فرص أفضل للعيش والعمل والدراسة في الخارج، وغالباً ما تكون الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المحرك الرئيس لذلك، ولكننا في كثير من الأحيان نستشف تذمراً من الفساد، وشعوراً بضرورة فرض الإصلاح من خلال التغيير الإيجابي، خصوصاً بعد أن بلغت بعض الخطط الحكومية السابقة معالم غير واضحة رغم كل الجهود التي بذلت.

فبعد سيول جدة وأحداثها كان من الضرورة بمكان إتاحة الفرصة للإعلام كي يجسد سلطته، فلعب الإعلام الرسمي وغير الرسمي دوراً في تتبع الفساد ومحاولة الكشف عنه، مع وجود قناعة بأن بؤر الفساد قد لا تنتهي بسهولة، فآخر المؤشرات السيئة ما نُشر عن فضيحة إحدى الشركات التي قامت بسرقة النفط وتهريبه خارج مصفاة ينبع على مدى ١١ سنة! وهذا ما يعطي انطباعاً لدى الرأي العام السعودي بأن بؤر الفساد تعمل كـ"مافياوات" لنهب مقدرات هذا الوطن وتغادر؛ ليشعر المواطنون البسطاء بأن ثمة من يسرق أحلامهم ويصادر وسائل قوتهم، مما يكرّس الحديث عن الفساد.

وما يظهر على السطح الاجتماعي العام، يبدو أكثر تعبيراً عن واقع المجتمع السعودي مما تظهره الصحافة والإعلام الرسمي، فنتيجة للوعي بالذات والعالم الخارجي لا أحد منا يرى بأساً من مقارنة واقعنا، كمجتمع، بواقع مجتمعات أخرى قد نصفها بأنها أفضل، فكثير من السعوديين باتوا يقارنون واقعهم بالواقع الأفضل لغيرهم، ويأملون أن تكون حياتهم في حاضرهم ومستقبلهم أفضل مما هي عليه.

وحين نتعمق قليلاً في الوضع، نجد أن هذا الاحتقان قد يتحول إلى مرض خطير ما لم يتم تداركه، فكثير من الشباب أصبحوا خطراً على مجتمعاتهم، ليس فقط على مستوى الذين يسلكون مسلكاً دينياً متطرفاً فتحولوا إلى الانخراط في الخلايا الإرهابية، وإنما على مستوى أولئك الغاضبين والمحتقنين الذين يعمدون إلى الانتقام من المجتمع بممارسة الجرائم المختلفة الخارجة عن القانون، ومنها ما يحدث على الساحة الثقافية، حيث يمارس البعض (إرهاباً) ثقافياً منذ عدة سنوات باسم الدين والأخلاق، ومن آخر ما تداولته الصحافة، إحراق مبنى نادي الجوف الأدبي للمرة الثانية وتهديد رئيس النادي بالقتل!

في السابق كان الاعتراض يتم بشكل مباشر على إقامة فعالية أو نشاط، أما الآن فإن التدمير والتهديد بالقتل هو اللغة المستخدمة في التعبير عن هذا النوع من التشنج والاحتقان. والأمر ليس أكثر من اعتراض عنيف على مسيرة الإصلاح التي نتمنى أن تتسارع خطواتها حتى ا يتم فتح المجال أكثر ليتحرك الجميع في إطار الالتزام الوطني القانوني، وفقاً لرغباتهم ومتطلباتهم، دون عنف أو احتقان يقع ما بين تدمير المرافق وقمع الرأي الآخر.

ماوراء الحملة على مشايخ التكفير

الوهابية وآل سعود.. والسقوط جمعاً!

محمد السباعي

لم تصل المؤسسة الدينية الوهابية في السعودية الى قاع الحضيض بمثل ما هي عليه اليوم. هناك ردّة شعبيّة انفجرت بوجهها، لم تواجهها طيلة تاريخها منذ نشأتها قبل أكثر من قرنين من الزمان.

كانت المؤسسة ورجالها محصّنون بقوّة السلطان السعودي عن أي همز أو لمز أو اتهام أو نقد.

وكانت أفكارها ومواقفها وفتاوى رجالها الخط الفاصل (بين الحق والباطل!) الذي تنحني له الدولة، ويخضع له المعارضون.

إذا تكلّمت سكت الجميع.

وإذا أفتت ابتلع الناقدون الكلام.

لا أحد يقترح أمراً ـ مجرد اقتراح ـ إلاّ ورجال الوهابية له بالمرصاد.

لا أحد يكتب إلا ومشايخ السلطة يقرؤون له ما تحت السطور، فلا يأمن على نفسه وعمله وماله وحتى خدش عرضه.

ولا أحد يتخذ قراراً في أي مؤسسة إلا وسيف الدين مسلط على رأسه، هذا إن اتخذ.

هكذا أرادت العائلة المالكة تلك المؤسسة الدينية: سيفاً مسلطاً على الشعب، سواء اعتنق الوهابية أم لم يعتنقها. لقد أرادت تمديد سلطة المشايخ الوهابيين على كامل الحيّز الديني، لتفرض رأيها على أتباع المذاهب الأخرى، الذين يمثلون نحو ثلاثة أرباع السكان.

السلطة المتضخمة لمشايخ الوهابية، منحتها لها العائلة المالكة، لتشغل الشعب بنفسه، ولتخنق الشعب بشراشف الدين، ولتتحول فتاوى الوهابية المتطرفة التي لا يوجد لها مثيل بين رجال الدين في أي من بلدان العالم الإسلامي، المؤطر الذهني والعقدي والسياسي لنظام الحكم القائم.

رجال العائلة المالكة لا علاقة لهم بالدين. حتى الصلاة هم لا يصلّونها في معظمهم! دع عنك ممارساتهم الأخرى من سرقة وفسق وفجور، يعلم بها القريب والبعيد. لقد أرادوا تحويل الدين ـ عبر مشايخ الوهابية ـ الى أداة قمع اجتماعي سياسي. يواجهون بهم الخصوم في الداخل والخارج. فكفروا زعماء دول عربية وإسلامية، وعضدوا النظام القائم بالفتاوى السياسية التي يريدها. وقمعوا دعاة التغيير والإصلاح بأحكام قضائية خرجت من وزارة الداخلية ونفثها قضاة الوهابية بالباطل.

الدين صار مركب السلطة. الأداة التي تستخدم في القمع الداخلي والتمدد الخارجي سياسياً ودينياً.

والسلطة ـ من وجهة نظر المشايخ ـ هي أداة نشر الدين الصحيح (الوهابية).. فدعمت الباطل والإستبداد والظلم وخنق الحريات، والتغطية على الفساد، مقابل ذلك النشر.

فضاءان: سياسي وديني، أريد لهما التعايش على مدى القرون. تعايش قائم على المصلحة الخاصة لكل طرف: الأمراء والعلماء ـ كما يقال. كان كل طرف يسعى الى اقتحام فضاء الآخر، لكن الغلبة كانت دائماً لآل سعود، حتى أصبحت المؤسسة الدينية عالة على المؤسسة السياسية، يقتات منها رجالها، وموظفوها ورجال هيئتها ومشايخها وطلبة علومها، وقضاتها، ودعاتها في الداخل والخارج. ومقابل ذلك دفعت المؤسسة الدينية ثمن التحالف: كرهٌ شعبي متصاعد لها ولرجالها، حتى امتدّ الى ردّة فعل على الدين نفسه. فكل خطأ وكل رذيلة وكل سياسة ظالمة يمارسها آل سعود، تحط من شأن الوهابية ومشايخها في الداخل والخارج.

وفي الطرف الآخر، كان آل سعود ينعمون باستقرار السلطة، وببعض الشرعية الدينية في محيط الوهابية النجدي، ويسددون ثمن تلك الشرعية المنتقصة الى مانحيها.. وهو ثمن بخس من الناحية المادية، ولكن الخسارة الكبرى والثمن الأفدح كان يدفعه الشعب من ثروته ومن تطوره ومن بنيته الثقافية ومن حرياته الأساسية، حتى صار في مؤخرة الركب حتى على الصعيد الخليجي. بأحداث سبتمبر ٢٠٠١، انفجر المخزون الشعبي ضد رجال الوهابية، انفجر المخزون من رحم الوهابية وملاذها ومحيطها الإجتماعي النجدي. لا أحد يستطيع مقاومة الوهابية من خارجها السعودي: من الحجاز، أو الشرق أو الجنوب. فذلك كفيل بتمتين اللحمة بين النجديين: (آل سعود، والوهابية ورجالها، والنخبة النجدية القابضة على السلطة).

وجد بعض النجديين الحاكمين بأن الوهابية منذ احداث سبتمبر قد اصبحت عبئاً على دولتهم. ووجدوا في السنوات التي تلت بأن المملكة المسعودة تسير من سيء الى أسوأ. وانقسم النجديون حكاماً ومحكومين بين من يقول بديمومة المؤسسة الدينية وأهمية دورها في شرعنة الحكم وإدامة قبضة السلطة بيد الفئوية النجدية، وبين من يرى بأن الوهابية بانغلاقها ليس فقط ستردي مسار الدولة الى الهاوية، بل ستنهي حكم آل سعود نفسه. الأمير نايف وأشقاؤه قالوا بالرأي الأول: لا مقام للدولة المسعودة بدون شرعنة المشايخ الوهابيين لها، وبدون حمايتها عبر ما تقدمه من حشد طائفي يمكن استثماره في القتال داخلياً او حتى خارجياً. والملك عبدالله وبعض الأمراء رأوا بأن الوهابية يجب إضعافها لكي ينتعش المجتمع وتبنى مؤسسات الدولة، وشكل الموقفان أحد أدوات الصراع بين المتنافسين على الحكم.

الخلاف تطوّر فيما بعد حول (مدى تخفيض قوّة الوهابية ومشايخها) إما عبر المزيد من تطويعها لاستخدامها في مشروع الدولة وبنائها، واستثمار بعض ما تمنحه من مشروعية لحكم آل سعود. أو عبر استخدام سياسة تلغي قوّتها، بناء على أن نظام الحكم، وبعد أكثر من قرن من التحالف بين ال سعود ومشايخ الوهابية، قد أصبح ناضجاً وهو يمتلك موارد توفير مشروعيته لذاته من غير طرف المشايخ.

لا خلاف فيما يبدو بين أقطاب السلطة على إضعاف الوهابية. فالدولة الى انحطاط، زادتها سياسة آل سعود انحطاطاً. وهنا يخشى آل سعود بأنهم بإضعاف الوهابية يجعلهم مكشوفين أمام شعبهم، وستوجه لهم سهام النقد بأنهم هم لا غيرهم من يقف عقبة أمام تطوير البلد وحماية مصالح شعبها، وليست الوهابية التي لا تعدو مخلباً بأيديهم، وغطاءً لفسادهم وانحراف سياساتهم. معنى هذا، أن آل سعود إذا ما أضعفوا الوهابية، فإنهم يبقون بدون سدود، وبدون أغطية، وبحدّ أدنى من المشروعية الدينية.. وهذا كلّه يفرض عليهم: تعديل مسلكهم في التعامل مع المال العام؛ وايجاد مشروعية أخرى ـ وطنية ـ قائمة على المشاركة الشعبية وعبر الإنتخابات؛ وفكّ الحصانة الإعلامية والقضائية عن بعض آل سعود ـ على

الأقل ـ ممن يتلاعبون بسياسات الدولة ويهدرون ثرواتها ويعيثون فساداً فيها. وهذا كله، لا يحتمل الأمراء قبوله.

وبالتالي فإن استراتيجية إضعاف المشايخ الوهابيين ومؤسستهم، وفتح الطريق في الإعلام الرسمي أو شبه الرسمي لنقدهم، لا يعدو تكتيكاً اعتاد على ممارسته آل سعود منذ عقود. مع ملاحظة أن جرعة النقد تصاعدت في الشهرين الأخيرين بصورة غير مسبوقة في تاريخ السعودية الوهابية، وأصبح آل سعود غير قادرين على كبح جماح النقد الذي خرج عن إطار السيطرة الرسمية.

لقد قيل بأن الوهابية وآل سعود توأمان سياميان، يصعب الفصل بينهما بعملية جراحية، والفصل ـ بالنظر الى التداخل في المنافع والإعتماد على بعضهما البعض ـ قد يؤدي الى مقتل الإثنين: حكم آل سعود النجدي؛ ومقتل الوهابية نفسها التي لم تنتعش في تاريخها إلا تحت سلطة أنظمة باغية ترعاها. والحل لا يعدو: منح الرعاية والغذاء لأحد التوأمين (حكم آل سعود) على حساب التوأم الآخر (الوهابية) بحيث ينمو الأول ويتضخم على حساب شقيقه، الذي يراد له البقاء حيّاً، ويعطى من الغذاء ما يبقيه هادئاً حيّاً.

الجمهور المسعود، وفي خضم الأوضاع المتغيّرة كان له نهج آخر.

أحداث سبتمبر فتحت كوّة لنقد جناح العنف في الوهابية، ونقصد به الجناح القاعدي/ الجهادي كما يسمى، والذي قام بتفجيرات نيويورك، ثم انثنى ليقوم بتفجيراته في السعودية نفسها، وليصدّرها بدعم من الجناح التقليدي في المؤسسة الدينية وفي المؤسسة السياسية أيضاً الى العراق ونهر البارد في لبنان وفي مملكة السلف في رفح بغزة! لقد قام الكتاب والباحثون السعوديون بنقد العنف الوهابي، دون ذكر كلمة الوهابية، وكيف أن الخيار الديني الحكومي يفرخ العنف. الحكومة حاولت ترشيد الكتابات، لكي تصب ضد القاعدة التي لم تفقه الوهابية على أصولها، ولكنها لم تستطع، فتوجه النقد الى المؤسسة الدينية الوهابية والتراث الديني الوهابي بمجمله، وقد كتب الكثيرون عن ذلك، خاصة كتابات محمد علي المحمود، وعبدالعزيز الخضر، وغيرهما، وهم من نفس المدرسة النجدية الوهابية.

حاول الرسميون السعوديون النجديون، من وزراء وغيرهم، الدفاع عن الوهابية، خاصة في الخارج (تصريحات القصيبي، وتصريحات وزير التعليم العالي يومئذ، وتصريحات الأميرين سلمان ونايف وغيرهما) والتي تزعم بأن الوهابية بريئة، براءة الذئب من دم يوسف، وأنها عاشت ثلاثة قرون ببراءة ولم ترق دماً!! وكل ذلك كذب مفضوح، شديد الإفتضاح. كل ما رجاه الأمراء يومها هو إعادة السيطرة على الوهابية بعد تفجيرات ٩/١١، واستخدام الوهابي التقليدي منها، والمتمثل في المؤسسة الرسمية، والمنتفع من العائلة المالكة والمتحالف معها.. استخدامه ضد الجناح العنفي، الذي وجه سهامه للحكومة السعودية. وكان الأمراء يريدون محاصرة العنف الوهابي النابع من المؤسسة بشقها على نفسها، ومن ثم إعادة تطويعها كما كانت العائلة المالكة تفعل دائماً (مع الأخوان الأوائل، ومع سلفيي معارضي التلفزيون، ومع جهيمان، ومع الصحويين).. لهذا أمر الأمراء بتجنيب المؤسسة الدينية النقد المكثف، وتجنيب المعتقد الوهابي النقد، ولكن الألسن فلتت، والكتابات صار لها زخم كبير، وظهر الإنترنت ليتجاوز الإعلام المحلي في النقد وليبز الصحافة. وحين لم يتوقف الكتاب، استخدم الأمراء العصا، فطرد صحافيون، وطرد رؤساء تحرير تهاونوا في نشر المقالات الناقدة للمؤسسة الدينية التي صارت في وضع دفاعي منذ أحداث سبتمبر وحتى اليوم.

وفي طريقتهم للتعبير عن الإعتراض، ظهرت الروايات الجنسية السعودية لتغزو الأسواق، وهي في أكثرها قد كتبت بأيد سعودية نجدية أو وهابية سابقة ارتدت على نفسها. غرض تلك الروايات، كان مصادمة الوهابية الى حدّ النقيض، ولتكشف أن المجتمع السعودي ليس مجتمعاً متديناً، بل هو مجتمع مثل كل المجتمعات، بل قد يكون أسوأها، ولهذا نرى سياسة ثابتة في نشر الأخبار غير الإعتيادية عن السعودية مما يكشف طبيعة السعوديين، كما في موقع ايلاف وموقع العربية، فضلاً عن الصحف المحلية.

ولما كان المواطنون ينتظرون إصلاحاً سياسياً ومناخاً ثقافياً مفتوحاً.. فإن النظام قاوم ذلك حتى أودع الإصلاحيين في السجون، وهم في كثير منهم متمردون على الوهابية وبعضهم محسوبين على المتديّنين.. لم يظهر الإصلاح المرجو، حتى اختفت اللفظة من الصحافة وأجهزة الإعلام الرسمية وشبه الرسمية، في وقت لم ينته فيه عنف الوهابية القاعدي الذي قيل أنه السبب في التأخير.. ومع إعلان القضاء على القاعدة او اجتثاث أكثرها، لم يعد هناك من مبرر من تأخير الإصلاحات سوى رفض الأمراء. هنا تحوّل الكثيرون الى البحث عن فضاء اجتماعي منفتح بدل الفضاء السياسي، ولكن كانت له الوهابية بالمرصاد مرة أخرى. فاشتعلت المعارك بين الوهابية وبين الآخرين بمختلف توجهاتهم الدينية والسياسية، وكشفت في السنوات الخمس الأخيرة تجاوزات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الى حد قتل المواطنين، وكانت الصحافة تغطي كل شيء، فيما يقوم اعلام الانترنت بتسقيط مشايخ الوهابية عبر الكتابات الساخرة؛ وكان الوهابيون وهم في حالة الدفاع والإستفزاز يكفرون هذا وذاك من الكتاب والصحافيين ويهددون أمثالهم بالقتل والعنف، ويهاجمون معارض الكتاب، والأندية الأدبية، ويشنّون الغارات الإعلامية من مئات المواقع على الإنترنت.

لكن النظام مازال يستشعر الحاجة الى الوهابية بكل فصائلها سواء تلك التي تمارس العنف والتكفير أو تلك التي تستبطن العنف النظري وتمارس العنف الفكري عبر التكفير. في الداخل كما في الخارج، كانت الوهابية مطلوبة لتكفير المخالفين في العراق، وفي لبنان وإيران، واليمن، وسوريا، وفلسطين.. الوهابية كانت مطلوبة للعمل في تأجيج الصراع الطائفي ضد الخارج، وفي حشد العنف ضد المخالفين كما في نهر البارد وغيره، كجزء من السياسة الخارجية السعودية التي نافحت عن نفوذها المتهاوي في مشرق العالم الاسلامي ومغربه. لم يكن النظام الذي يخسر مواقعه السياسية، ويشعر بضغط الرغبة الشعبية في التغيير في غنى عن الوهابية ورموزها الصغيرة والكبيرة.. ولعل المواقف والفتاوى والتصريحات الدينية التي ظهرت أثناء الحرب ضد الحوثيين في اليمن تكشف عن ذلك، بل أن بعض المشايخ ألبس لباساً عسكرياً وأرسل لجبهات القتال الخلفية للحضّ على الشهادة ضد الكفار الحوثيين، فيما أرسل قسم آخر لليمن نفسها ليخطب هناك دفاعاً عن الدين الوهابي الصحيح، وليكفر الزيدية!

لكنّ شيئاً تحوّل مؤخراً، وهو أن الحرب الطائفية لم تجد أنصاراً كما توقع آل سعود، وصارت فتاوى الوهابية التكفيرية تستجلب المزيد من السخط على السعوديين كحكام وكدولة، مثل تصريحات الكلباني امام الحرم المكي، وفهد العريفي، وأخيراً فتوى البراك بقتل من يقول بالإختلاط. هنا انفجر المخزون الشعبي من الغضب، الذي يرى البلاد تنحط يوماً بعد آخر، فتتالت الكتابات الناقدة والحادة بالتخلص من المؤسسة الدينية التي لم يعد بالإمكان تطويعها. إن حجم النقد والسخرية الذي نشر خلال شهر واحد، كان أضخم مما نشر في مدار عقود طويلة، وهو ما اعتبره د. سليمان الهتلان، حركة تنويرية! وأنى لها أن تكون كذلك؟!

إن مشكلة السعودية في نظامها السياسي، في حكم آل سعود، وما المؤسسة الدينية إلا تابع مطواع. وإن إفساح النقد وتجاوزه في المنتديات المألوف في النشر، لا يعني أن تغييراً سيحدث في السلطة السياسية، أي أنه لن يؤدي إلى التغيير المطلوب. ولا يعد النقد للوهابية اليوم إضعافاً كبيراً بالضرورة لآل سعود، وقد يستثمرونه لصالحهم ان استطاعوا. شيء واحد يمكن التعويل عليه في التغيير ويمكن قياسه به وهو: الصدام أو الإبتعاد بين المتحالفين: آل سعود ومشايخ الوهابية. ما لم نجد فصلاً واضحاً بين الطرفين يؤدي الى اضعافهما، فإن السعودية كدولة ستبقى ضعيفة، الى أن تنحل. ونحن لا نرجح وقوع الإنفصال، كما لا نرجح مقولة إمكانية تطويع الوهابية فكرياً، كما لا نرجح قيام آل سعود بإصلاحات اختيارية. نحن نرجح: سقوطهما معاً!

أزمة فكرية أم تحوّل اجتماعي؟

بعد العريفي.. البرّاك في قلب العاصفة

فريد أيهم

إنكسر برنامج الحماية الذي وضعه مشايخ الوهابية في السعودية لأنفسهم تحت عنوان (لحوم العلماء مسمومة)، فلم يعد صالحاً للإستعمال بعد الآن، ولم يعد الصمت عن فتاوى التكفير والقتل المكافأة التي يحصل عليها علماء المؤسسة الدينية في المملكة السعودية، فقد تبدّل الحال دراماتيكياً.. فقد فوجىء التيار الديني المتشدّد بعواصف غاضبة تهبّ من كل صوب عقب كل فتوى تنطوي على دعوة مباشرة أو مبطّنة بالكفر والقتل. فيما مضى، كان من يصنّفهم علماء المؤسسة الدينية بالحداثيين والليبراليين يلوذون بالملك أو أحد الأمراء طلباً للحماية من غائلة فتاوى القتل التي كانت تصدر ضد كاتب هنا، وروائي هناك، وصحافي هنالك..لم يعد الحال اليوم كما كان عليه في السابق، فقد قرّر الضحايا تحطيم (التابو) الوهمي الذي صنعه الديني والسياسي معاً، ولسان حالهم يقول: كفى، فقد ولي زمان الصمت، وليست هناك جهّة فوق المسائلة والنقد، ولن نسكت على تغوّل التكفيريين، ولن نخضع لتهويلاتهم وأراجيفهم، وليسوا هم من يقرر مصير البلاد والعباد.

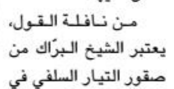
لأول وهلة، يبدو المشهد كما لو كان معبّراً عن صراع تيارات ثقافية يمتد إلى عقود خلت، ولكن في واقع الأمر أن ما يضمره المشهد أبعد وأخطر من ذلك، فثمة تحوّل إجتماعي بأبعاد سياسية تعكسه طبيعة الخطاب المتصاعد في الداخل النازع نحو إحداث تغييرات جوهرية في المجتمع والدولة معاً. صحيح أن الاحتدامات الجارية مازالت مقتصرة على البعد الثقافي والأيديولوجي ولكنها تومىء بقوة الى أن ثمة مآلات سياسية يراد لها أن تستوعب طبيعة الحراك الاجتماعي الناشط.

بين أيدينا طائفة كبيرة من المجسّات التي يمكن من خلالها استكشاف مديات التحوّلات الإجتماعية والثقافية والسياسية، وبإمكاننا التوقّف عند حدثين بارزين وقعا منذ بداية هذا العام.

الأول: خطبة العريفي في صلاة الجمعة بجامع البواردي في الرياض في ٣ يناير الماضي والذي فجّر فيها أزمة داخلية وخارجية إثر استخدامه لغة طائفية لاهبة، بعد أن نال من المرجعية الشيعية في النجف السيستاني، الذي وصفه بالفجور والزندقة، وتكهّم على المرجعية الزيدية في اليمن بدر الدين الحوثي. في التقدير الأولي يمكن القول بأن العريفي لم يكن يشكّ للحظة بأن خطبته ستحظى بترحيب في الداخل، وستفتح أمامه بوابة الشهرة، وسينال مكافأة شعبية ورسمية لقاء خطبة وصفت بأنها أقرب إلى الفحش منها للإيمان، ولكن المفاجأة جاءت عكس توقّعات الجميع، حيث انفجرت عاصفة من الانتقادات في الصحف اليومية المحلية ومواقع الانترنت ووسائل الاعلام وانتقلت الى خارج الحدود إلى حد أن دولة مثل الكويت منعته من دخول أراضيها، فيما تم إيقاف بعض برامجه التلفزيونية من البث على قنوات فضائية. وفي المحصّلة، أطلقت خطبة العريفي العنان لمناقشة ملف التكفير في هذا البلد، وتصاعدت المطالبات بتجريم الكراهية الدينية أو التحريض عليها من قبل رجال الدين السلفيين.

إنبرى مناصرون للعريفي في التيار السلفي الوهابي للدفاع عنه، وصدر بيان من صقور التكفير في المملكة، ونسج الشيخ ناصر العمر أحد هؤلاء الصقور رواية مؤامرة رباعية يقودها الصليبيون واليهود والليبراليين والشيعة ضد الاسلام، في رد فعل على موجة الإنتقادات التي غمرت الساحة المحلية بعد خطبة العريفي. على أية حال، لم يفلح دفاع صقور التكفير في التعويض عن الخسارة المعنوية والإجتماعية والثقافية التي تكبّدها العريفي والتيار السلفي عموماً، فقد فرض التيار المناهض للتكفير والكراهية الدينية نفسه على الساحة الاجتماعية، ما دفع العمر للتعبير بحسرة عن انحسار الدين في المجتمع.




الملك والشيخ البرّاك

الثاني: فتوى الشيخ عبد الرحمن البرّاك بإباحة دم مستحلي الإختلاط، وهو موضوعنا هنا، والتي هي الأخرى شكّلت صدمة في صدورها، وصدمة أكبر في ردود الفعل عليها.

من نافلة القول، يعتبر الشيخ البرّاك من صقور التيار السلفي في المملكة، على الأقل في العقد الأخير، وكان إسمه يرد في قائمة البيانات التكفيرية التي صدرت بعد انطلاق أول جلسة للحوار الوطني في يونيو ٢٠٠٣، والتي نال فيها من الليبراليين والشيعة تكفيراً وتبديعاً، كما تصدّر إسمه بيانات لاحقة مثل مؤتمر حوار علماء المسلمين في مكة المكرمة العام ٢٠٠٧.

للشيخ البرّاك فتاوى متشدّدة حول دور المرأة منها ما جاء في سؤال بتاريخ ١ يونيو ٢٠٠٩ حول حكم ظهور الداعية في التلفزيون بحجابها الشرعي لغرض الدعوة والافتاء فأجاب: (من المعلوم أن مشاركة المرأة في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تترتب عليها مخالفات شرعية من

خروج بلا حاجة، ومخالطة للرجال، وتصوير لشخصها وإن كانت محجبة، وفي ذلك ما فيه من المفاسد..). وخلص للقول: (لا يجوز للمرأة أن تخرج في القنوات الفضائية داعية أو مفتية أو معلمة، بل يجب أن يقتصر نشاطها في الدعوة العامة على بنات جنسها في بيت أو مدرسة أو مسجد في مصلى النساء). وعارض الشيخ البرّاك فكرة الأندية الرياضية الخاصة بالنساء واعتبرها (من أعظم العوامل في تغريب المرأة المسلمة وإفساد المجتمع المسلم لذلك) (فتوى ٣١٥٠٧ بتاريخ ١٦ إبريل ٢٠٠٩).

وللبرّاك فتاوى أخرى سابقة في موضوعة المرأة وشؤونها، لم يلتفت إليها، وربما غفل عنها الناس، طالما أنها غير ملزمة لأحد ولم تنل شهرة وانتشاراً في الإعلام. ولكن حال الفتوى التي نحن بصدد عرضها هنا كان مختلفاً، فقد جاءت في سياق تجاذبات اجتماعية وأيديولوجية متصاعدة، وفي ظل تأهّب غير مسبوق من قبل تيار اجتماعي عريض للتجابه مع فتاوى التكفير والقتل.

ماهي الفتوى؟

في ٨ ربيع الأول الماضي الموافق ٢٢ فبراير الماضي نشر موقع (البرّاك) وهو الموقع الرسمي للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البرّاك ما وصفه (تحذير من فتنة الدعوة إلى الاختلاط) بدأه بالقول (فإن الاختلاط بين الرجال والنساء في ميادين العمل والتعليم ـ وهو المنشود للعصرانيين ـ حرامٌ؛ لأنه يتضمن النظر الحرام، والتبرج الحرام، والسفور الحرام، والخلوة الحرام، والكلام الحرام، بين الرجال والنساء، وكل ذلك طريق إلى ما بعده).

تحذير البرّاك موجّه بصورة حصرية الى من وصفهم بـ (العصرانيين) وهو وصف مفتوح يشمل الليبراليين والعلمانيين والحداثيين وكل من لا يتوافق مع النظرة السلفية في الموضوعات الحديثة. وقال بأن دعوة العصرانيين إلى الاختلاط محثوثة بـ:(النزعة الى حياة الغرب الكافر، فعقولهم مستغربة، ويريدون تغريب الأمة؛ بل يريدون فرض هذا التغريب. الثاني اتباع الشهوات..).

المدافعون عن فتوى البرّاك في موضوع الاختلاط حسموا الحكم بطريقة نهائية وغير مؤصّلة نقلياً وشرعياً، ونقلوا أوضاع اجتماعية يعيشونها

وبحسب الترتيب الفقهي السلفي بطبيعته الحكمية، فإن الكفر يستلزم القتل في حال رفض الحجّة الملقاة. يقول البرّاك (ومن استحل هذا الاختلاط ـ وإن أدى إلى هذه المحرمات ـ فهو مستحل لهذه المحرمات، ومن استحلها فهو كافر، ومعنى ذلك أنه يصير مرتداً، فيُعرَّف وتقام الحجة عليه فإن رجع وإلا وجب قتله..). أما (من رضي بعمل ابنته أو أخته أو زوجته مع الرجال أو بالدراسة المختلطة فهو قليل الغيرة على عرضه، وهذا نوع من الدياثة..).

كان يمكن للفتوى أن تبقى طي النسيان، شأن فتاوى سابقة، ولكن ثمة من أراد إخراجها الى الضوء لغاية في نفس جريدة (الوطن) السعودية، التي أطلقت بازار المناظرات الثقافية على نطاق واسع محلياً وخارجياً.

ومن اللافت أن من قاد زمام المبادرة في المناظرات لم يكن المثقفون الليبراليون، أو العصرانيون حسب توصيف البرّاك، بل بدأت أول مرة في الدائرة الدينية ثم انتقلت الى الدائرة الثقافية الواسعة. وأيضاً، أن المبادرة جاءت من علماء داخل المؤسسة الدينية الرسمية قبل أن تجتذب علماء من الأزهر. في موقف غير مسبوق. ردّ عضو هيئة كبار العلماء الشيخ قيس آل الشيخ على فتوى البرّاك بعدم جواز تكفير من أباح مسألة من المسائل الخلافية وقال (إن الكفر هو رفض ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويقع ذلك إذا صدر من إنسان فعل أو قول أنكر فيه حكماً مجمعاً عليه..)، فيما طالب القاضي بوزارة العدل الشيخ الدكتور ناصر الداوود بقصر (مهمة إصدار الحكم بالتكفير على المحاكم القضائية فقط)، معتبرا فتوى البراك (وجهة نظر طالب علم من أفراد المجتمع). في المقابل، تضامن الشيخ محمد النجيمي، العضو الرئسي في برنامج المناصحة، في تصريح لصحيفة (الوطن) في ٢٥ فبراير الماضي مع البراك في فتواه، ووصفها بـ (المتناسقة والمترابطة).



الطريفي: تأييد التكفير والقتل!

علماء الأزهر الشريف في مصر دخلوا على خط التجابه الفقهي مع فتوى البرّاك، كوّنها تتعرّض لعلماء وطلبة الأزهر الشريف تكفيراً وقتلاً. وقد ردّ علماء الأزهر على الفتوى بشأن الإختلاط بأنها (معركة في غير معترك)، وقالوا بجواز الاختلاط وفق الضوابط الشرعية وللضرورات المعروفة وعلى رأسها طلب العلم. وقال وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية الشيخ محمود عاشور، أنه (لا يجب أن يكون الأمر تحديات بين العلماء وردود فعل ولا يصح أن يكفر بعضنا بعضا فالأصل إباحة الإختلاط لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (وأطلبوا العلم ولو في الصين). وقال إن الفقهاء أجمعوا على إجازة الاختلاط في فصول الدراسة والحدائق العامة وفي المحاضرات ما داموا ملتزمين بالضوابط الشرعية، كما أجازوا سفر المرأة للحج مع الرفقة الآمنة، فالاختلاط يحدث في السعي وفي الطواف، وهذا يعني أنه يجوز الاختلاط في طلب العلم.

مفتي مصر الدكتور علي جمعة أفتى بإباحة الاختلاط بين الفتيات والبنين لطلب العلم مع الإلتزام بالآداب والقيم التى حددتها الشريعة الإسلامية. وأشار إلى أنه لا يوجد في الشريعة الإسلامية ما يمنع الإختلاط بين الشباب والفتيات سواء في الجامعات والمدارس أو غيرها لطلب العلم، في ضوء الحديث النبوي الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

في رد فعل على اعتراضات علماء الأزهر وبعض الكتّاب المحليين، جنّدت بعض المواقع عدداً من المشايخ للمنافحة عن فتوى البرّاك. شبكة (نور الاسلام) التي يشرف عليها الشيخ محمد بن عبد الله الهبدان نشرت مقالاً في ٢٥ فبراير للشيبخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي المعرّف بالباحث العلمي في وزارة الشؤون الإسلامية بعنوان (الاختلاط .. وانحناء القلوب)، عبّر فيه عن مساندته لفتوى البرّاك، واعتبر ما كتبه في هذا الشأن (لا يَخرج عن الحق لفظاً ولا معنى).

ووجّه الطريفي نقداً غير مباشر لكثير من العلماء الذين لزموا الصمت حيال ما وصفه (جلد الإعلام الشاذ في ترويض الاختلاط). كما وصف كل عالم يخالف فتوى البرّاك بالجهل، وقال عنه بأنه (خال القلب من نور الوحي، أو طال انحناء ظهره لسطوة الإعلام فطال أمده فظن أنه إنما خُلق أحدب الظهر..). يقول الطريفي ذلك كله مشيراً إلى نفوذ الإعلام على مواقف العلماء ودوره حسب قوله (في تقزيم عملاق وعملقة قزم).

قدّم الطريفي تقريضاً وتقريراً لفتوى البرّاك في مسألة الاختلاط، وأسهب في شرحها من وجوه عدّة، منطلقاً من مبدأ تحريم الاختلاط، الذي اعتبره مورد اجماع علماء الاسلام من سائر المذاهب المتبوعة، محيلاً الى كتاب صنّفه في موضوعة (الاختلاط تحرير وتقرير وتعقيب) يستحضر فيه نصوص الشريعة وإجماع الأمة عبر القرون، حسب قوله.

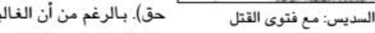
لم يزد الطريفي على ما ورد في فتوى البرّاك حول المقصود بالإختلاط، أي إجتماع الذكور والإناث في مكان واحد في التعليم والعمل، وليس الإختلاط العابر كالأسواق والمساجد والطرقات بلا ممازحة ومماسّة (فهذا يفعله الناس في كل العصور علماء وعامة)، واقتفى ذات طريقة البرّاك في ترتيب الأحكام، بتكفير مستحل الحرام القطعي وبذلك يستتاب وإلا حكم بقتله.

وفتحت شبكة (نور الاسلام) ملفاً تفاعلياً لمتابعة فتوى البرّاك في الإختلاك، ونشرت في ٢٤ فبراير الماضي رداً دفاعياً للشيخ حامد العلي عن البرّاك، ولفت الى أن الأخير لم يقل بكفر القول بمطلق الإختلاط، وإنما من استحلّ المحرمات المقترنة بالإختلاط لا محالة، وفحوى الفتوى حسب قوله (فهو كمن قال: الاختلاط جائز حتى لو علمنا أنَّ الزنا يقترن به لا محالة..). وقال بأن منتقدي البرّاك حرّفوا كعادتهم الكلام عن مواضعه (بقصد التشنيع على دعاة الفضيلة الذين يقفون في وجه المخرّبين الذين ظهر قرنهم، وعلا صوتهم، وإنتشروا في مواقع إعلامية، في بلاد الحرمين شرفها الله، ليس لهم هم إلاّ استهداف الإسلام، وتشويه صورته، وتهجين رسالته، ومشروعهم قائم على مسخ الفضائل، وإحلال الرذائل، وإستبدال الثقافة الغربية اللخناء المنحلة، بثقافة الإسلام الفاضلة المطهرة..). وكما يظهر، فإن العلي لم يتنبّه الى أن توضيحه جاء متطابقاً مع فهم منتقدي الفتوى، فضلاً عن أن خاتمة ردّه كشفت عن موقف متشدّد من المخالفين من خلال طائفة الأوصاف التي ساقها ضدهم.

من جهته، ذكر عبد الرحمن التميمي على نفس الشبكة بأن فتوى البرّاك ليست جديدة، بل هناك فتاوى سابقة صدرت في القرنين الخامس والسابع الهجريين لأبي بكر العامري وأبي الفضل المالكي وأبو عمر الكناني وغيرهم من الذين حرّموا الاختلاط. وخلص بعد ذلك للقول (كلام الشيخ دقيق جداً).

ونسج الشيخ عبد الرحمن السديس على منوال الطريفي في توضيح أبعاد الفتوى، وأطرى عليها حيث اعتبرها (الضربة القاضية) ولكن لمن؟ كما يبدو أن كلام السديس منصبّاً على الخصم القديم/ الجديد ممثلاً في (العصرانيين) الذين نالوا نصيباً من رد السديس (كثير ممن تغيظهم جهود العلماء والناصحين في كبح جماح التسارع الذي يريده المستغربون لهذا البلد الطيب: سارعوا للتشنيع على هذه الفتيا، والتحريض على قائلها، وتحميلها ما لا تحتمل..) وتعدّى ذلك الى غيرهم أيضاً (واشتغل معهم أيضا الحاقدون على أهل السنة من الفرق الضالة والذي يقتنصون أي فرصة للحديث عن علمائنا والنيل منهم بغير حق). بالرغم من أن الغالبية الساحقة من الردود جاءت من المصنّفين على أهل السنة. اللافت أن السديس نظر الى كثرة الردود بإيجابية كونها ساهمت في انتشار الفتوى وقال: (فكان من نعمه الله في هذه الحادثة: أن قرأ هذه الفتيا أمم من الناس ما كان لهم أن يعرفوا عنها شيئا)، إلى جانب نعم كثيرة رصدها السديس من بينها أن الفتيا هذه كانت (رفعة لدرجة الشيخ وتكفيراً لسيئاته).




السديس: مع فتوى القتل

الشيخ محمد النجيمي الذي برز بوصفه أحد أقطاب لجنة المناصحة، والخبير في مجمع الفقه الاسلامي الدولي وأستاذ الدراسات المدنية بكلية الملك فهد الأمنية، كان قد نفى التصريح لصحيفة (الوطن) حول فتوى الشيخ البرّاك في الاختلاط، ولكن حين سئل عن موقفه من الفتوى دافع عنها، وأوضح بأن البرّاك خصّ بفتياه (فئة العصرانيين)، إلا أنه أضاف من موقعه الرسمي بأن الاستتابة من مستحلي الإختلاط (يجب أن تكون عبر أجهزة الدولة الرسمية، من الأجهزة الأمنية، وهيئة التحقيق والادعاء، والقضاء بدرجاته المختلفة: الابتدائي – الاستئناف – النقض المحكمة العليا)، فمن أصرَّ على رأيه (من استباحة أشياء معلومة من الدين بالضرورة، بعد مروره بجميع هذه الجهات القضائية، فانه يطبق عليه العقوبة الشرعية)، ما يعني أن الحكم بالقتل مازال قائماً ولكن تطبيقه يتمّ من قبل أجهزة الدولة.


النجيمي يؤيد القتل ولكن بيد الدولة!

ولم يتردّد النجيمي في استحضار الخلاف السياسي بين الرياض وطهران في سياق التجاذب الفقهي والفكري حول فتوى البرّاك، حيث وصف النجيمي منتقدي البرّاك بـ (الطابور الإيراني وإن شئت فقل الطابور الخامس الذي يستهدف علماء المملكة ويسكت عن جرائم الآخرين، هذا هو التيار الموالي لإيران بطريقة غير مباشرة).

مؤيدون آخرون لفتوى القتل

تصاعدت وتيرة المجابهات الثقافية واحتلت مساحة بارزة في المشهد الاعلامي المحلي، وتداعى المؤيدون والمعارضون لفتوى البرّاك للدخول في حلبة السجال الثقافي والاعلامي.

في خطوة متوقّعة وإن جاءت متأخرة وغير مكتملة، لغياب أقطاب كبار ومعروفين كانوا على الدوام ضمن خط البيانيين، أصدر نحو ٢٦ رجل دين وأستاذ شريعة وقاضياً، وباحثاً بياناً في ٢٧ فبراير الماضي يؤّيدون فيه فتوى البرّاك بحرمة الاختلاط وردّة القائل بحليّتها ولزوم قتله بعد استتابته. وكان من بين الموقّعين الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً، و د.عبدالله بن حمود التويجري، رئيس قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام سابقاً، ود.عبدالرحمن بن صالح المحمود، الأستاذ في قسم العقيدة بجامعة الإمام سابقاً، د.محمد بن ناصر بن سلطان السحيباني، عميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية فالمدينة المنورة سابقاً، فيما غاب الشيخ ناصر العمر. وجاء في البيان بأن (الاختلاط وما يتضمنه من المذكورات ـ النظر الحرام والتبرج الحرام والخلوة الحرام والكلام الحرام ـ هو من المحرّمات الظاهرة، واستحلاله يعدّ إنكاراً لحكم معلوم من الدين بالضرورة، لما فيه من التكذيب والجحود المناقض للتصديق، أو الإباء والامتناع المناقض للإذعان والالتزام للشرع). ويضيف البيان أن ما قاله البرّاك (متفق تماماً مع أصول أهل السنة أن من استحل المحرمات الظاهرة فهو كافر.. وعلى ذلك فتكفير من أتى مكفّرا حكمٌ شرعيٌّ متلقى عن صاحب الشريعة..).

وأبدى الموقّعون استغرابهم (صدور الدعوة إلى اختلاط النساء بالرجال في العمل والتعليم في بلاد الحرمين المملكة العربية السعودية، بعد أن منَّ الله على نسائها بالعفة والطهر، وبعد أن بدأ بعض العقلاء في الغرب ينادون بضرورة فصل الجنسين، لأن الاختلاط سبب انتشار الرذيلة وسقوط الأمم). ورغم أن هذا الرأي يمسّ الأغلبية العظمى من الدول العربية والإسلامية

التي تعتمد نظام الاختلاط في التعليم والعمل مع الاحتفاظ بالحدود المعروفة في العلاقة ذات الاختصاص، فإن الموقّعين يبدو أنهم انطلقوا من دعوى الربط الحتمي بين الاختلاط والإنحراف الاخلاقي، ما جعلهم ينزعون الى حسم الحكم في المسألة بطريقة نهائية وغير موّصَلة نقلياً وشرعياً بقدر استنادها على صورة نمطية وأوضاع اجتماعية يعيشها الموقّعون أو البيئة التي تفرض نفسها عليهم لإصدار حكم من هذا القبيل.

حمل البيان على وسائل الاعلام، وطالبوها بإفساح المجال أمام العلماء والكتّاب المحسوبين على التيار الديني للتعبير عن وجهات نظرهم في موضوع الاختلاط والتذكير بمساوئه، وخاطبوا أيضاً رجال العلم الشرعي الذين قالوا بإباحة الاختلاط (إلى التوبة إلى الله، وأن يراجعوا أنفسهم..).

انتقلت المعركة الى موقع فيسبوك على الانترنت وبرزت مجموعة ضمت أكثر من ٧٠٠ مشترك، دافعت عن الشيخ البرّاك، بسبب الحملة التي يتعرض لها بعد الفتوى التي أصدرها، وأجاز فيها قتل دعاة الاختلاط في السعودية. وحملت المجموعة إسم (دفاعاً عن سماحة الوالد الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك) وعرّفت عن نفسها بالقول: (لقد اشتدت في الآونة الأخيرة الهجمات الشرسة من الليبراليين أعداء الدين على العلماء في المملكة ومحاولتهم الدائمة لإسقاطهم والوقيعة بينهم وبين الحكام، وهم يشنون الآن هجمة آثمة على سماحة شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك بسبب فتواه الأخيرة بخصوص الإختلاط). وأضافت: (واجبنا تجاه هذا الحبر العلامة والمربي الفاضل والعالم الزاهد الورع أن نعلن بكل صراحة ووضوح وقوفنا بجانب شيخنا وسيدنا سماحة الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك وأن نعلن حبنا له ومناصرتنا له ولكل العلماء المخلصين وكرهنا للتيار الليبرالى الخبيث الذي يحاول إسقاط العلماء واحدا تلو الآخر).

> **استنكار لغياب فتوى البرّاك تدين الفساد الذي تسبّب في سيول جدة وأودى بحياة عشرات من الأرواح البريئة، وكشف عن جرائم هدر وسرقة**

العاصفة الصحافية ضد البرّاك

بخلاف مرات سابقة، وموضوعات مختلفة، جاءت ردود الفعل على فتوى البرّاك من الاتجاهات الوطنية الدينية المعتدلة والليبرالية جريئة، وقاطعة، ومباشرة، وهو ما لم يكن يتوقّعه التيار الديني السلفي الذي اعتاد أن يحمل السيف ضد خصومه المجرّدين حتى من حق الرد على حملات التكفير التي كانت تطالهم.

بات الوضع مختلفاً الآن، وبإمكان من صدرت بحقهم فتاوى بالتكفير والردّة والقتل مثل تركي الحمد، ومشاري الذايدي، ونجيب الزامل، وغيرهم أن يتنفسّوا الصعداء، فقد تكفّل مجايلوهم بمهمة اختراق قلعة الخوف التي أنشأها رجال الدين السلفيين لتسديد سهامهم منها وحماية أنفسهم من سهام خصومهم. وضع التيار الوطني الديني المعتدل والليبرالي حداً لوهم دام عقود كان يحتكر فيه رجل الدين الحقيقة السماوية، ويصدر بناء على احتكاره المزعوم أحكاماً بالتكفير والقتل، وهاهو يضع فتوى البرّاك تحت ضوء كاشف لفحصها وتشريحها ونقدها.

الراشد: إرحم المجتمع ياشيخ

من الردود الأولى التي صدرت على فتوى البرّاك، كان مقالاً بصحيفة (الرياض) في ٢٥ فبراير الماضي بعنوان (ياشيخنا، العمل سمة العلماء!؟) للكاتب راشد فهد الراشد. وبعد مقدّمة نظرية وتيولوجية عن وسطية الاسلام واعتداله، واعتماده العقل أداة في فهم مقاصده واستنباط أحكامه، طالب بصورة غير مباشرة من البرّاك، كرمز لعلماء الدين السلفيين في المملكة (أن يتعقل ويعقل، ويتقي الله في هذا المجتمع المحاصر بفتاوى التحريم، والتجريم، والشدة والقسوة في التوجيه. واستخدام مفردات قاموس رديء ، لايجب أن يستخدمها حتى الهامش الاجتماعي). وعلّق على فتوى البرّاك بالقول أنه بهذه الفتوى (أباح دماء شرائح كثيرة في المجتمع، وإن غابت عليه مفاهيم وبينات الإختلاط ، وجهل جهلاً فاضحاً المقصود منه، وأين. وهذا يفضح قصر النظرة عند الشيخ، وعدم رغبته في الاطلاع، بل يفهم ويقرأ بالواسطة. ثم يحكم عاطفته). ووجّه الراشد نداءً مباشراً للبرّاك (أيها الشيخ . إنها دعوة خطرة، فارحم المجتمع من ويلاتها).



زاهد: أين فتوى تجريم استباحة المال العام؟

في مقالة لها في صحيفة (الوطن) في ٢٦ فبراير بعنوان (أين فتاوى الشيخ البرّاك عن الفساد) تساءلت أمل زاهد عن غياب فتوى للبرّاك تدين الفساد الذي تسبب في سيول جدة وأودى بحياة عشرات من الأرواح البريئة، وكشف عن جرائم هدر وسرقة المال العام في إحدى أكبر مدن المملكة. وعرضت زاهد أمثلة عدّة حول الفساد المالي والاداري فيما لم يصدر عن البرّاك فتوى تجرّم من (استباح) المال العام، (ولم ير بأساً في سرقة مقدّرات الوطن وحقوق العباد، ثم تسبّبت أياديه المتجنيّة الخفية في إزهاق أرواحهم). ومن بين ما رصدت زاهد من الأمثل سرقة براميل النفط ومد الأنابيب لشفط مقدّرات الوطن على مدى أحد عشر عاماً، والتي اكتشف حدوثها مؤخراً في ينبع، ومنها أيضاً استحلال الرشوة واستغلال المناصب والواسطة والمحسوبية وعدم تكافؤ الفرص وتعتبرها إفساداً في الأرض، ومنها الفقر المدقع في المملكة.

تقول زاهد: (دخلت إلى موقع الشيخ وحاولت البحث عن فتاوى تتعلق بالفساد وإهدار المال العام فلم أجد، ولكني وجدت الكثير من الفتاوى المتعلقة بالشكلانيات والتفاصيل – كما اعتدنا – من معظم رموز تيارنا الديني، فيما تظل القيم الجوهرية للدين كالعدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس وفقه التعاملات بعيدة عن الطرق والتكريس والتعزيز! كما وجدت فتوى ردة وتكفير من استباح الاختلاط ثم هدر دمه متصدرة للموقع، مشاعة لكافة زائريه على اختلاف وعيهم ودرجة إدراكهم!).

الموسى: هل يعدم البراك الملايين بتهمة الاختلاط

في مقالته بتاريخ ٢٧ فبراير بعنوان (صاحب الفضيلة قبل أن تفتي بالقتل) والمنشورة في صحيفة (الوطن)، يثبّت على سعد الموسى حقاً مبدئياً للشيخ البرّاك بالإفتاء، حتى لو كتب فيها مفردة (القتل)، وبحسب الموسى (فهو لم يأت بجديد: تلك للحق لغة البعض). استعرض الموسى واقع المسلمين اليوم وضغوط الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي تفرض نمطاً مختلفاً من التعامل والعلاقات، فهناك عشرات الملايين من العاملين في حقول الزراعة والصناعة والتجارة من الجنسين الذكر والانثى من أجل توفير لقمة العيش وحياة كريمة لهم ولعوائلهم، واستعرض نماذج في ماليزيا،



ومصر، واليمن فهل يحكم على الملايين الذين يبحثون عن مصدر رزقهم بالاعدام بتهمة الاختلاط. وختم مقالته بتوجيه كلمة مباشرة للبرّاك (صاحب الفضيلة: ظروف المسلمين ليست ما تشاهده بالرياض، والإسلام وأهله ليسوا بالصورة التي تشاهدها. بل هم أبعد بكثير عن الصور التي يبثها إليك المريدون).

الفوزان: البرّاك خلط بين السبب والأثر

الكاتب الصحافي عبد الله ناصر الفوزان نشر مقالاً بعنوان (فتوى الشيخ البراك كتبت برأس "الهراوة" وبطريقة "لا يفل الحديد إلا الحديد") نشرت في صحيفة (الوطن) في ٢٧ فبراير الماضي. قلّل فيها من شأن الفتوى، كونها متهافتة رغم الدويّ الذي تحدثه، والسبب من وجهة نظره (لأنها في حقيقة أمرها بلا قدمين وفي النهاية فلن يكون لها محل من الإعراب). ولفت الفوزان الى أن البرّاك كان قد أوضح رأيه في وقت سابق في الإختلاط في بيان طويل خرج على موقعه يردّ فيه على وزير العدل، ولكن يبدو أن ذلك لم يحدث الأثر المطلوب، وربما أن بعض المهتمين بالأمر استعانوا به بعد ذلك التطور الكبير في الموقف من الاختلاط الذي صدر من شخصيات مرموقة لها وزنها في الساحة الدينية مثل وزير العدل ورئيس فرع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة مكة المكرمة، وبعض القضاة والمشايخ، فأصدر بيانه الأخير بطريقة (لا يفل الحديد إلا الحديد) وكتب فيما يبدو ليس بالقلم ولكن برأس (الهراوة) فلجأ لـ(التكفير) بالطريقة التي وردت في البيان الذي نشره على موقعه.



ومن وجهة نظر الفوزان، أن كلام البرّاك لا يقوم على قدمين (لأن الخلاف بيّن الموقف بين الشيخ والآخرين ليس من الاختلاط في حد ذاته بل من الأثر الناتج من هذا الاختلاط، فالشيخ البراك يقطع بأنه سينتج عن الاختلاط تلك الأمور المحرمة التي عددها وقال في فتواه إن من استحلها فقد كفر إلى آخر فتواه، بينما الآخرون لا يوافقونه في الأثر الناتج عن ذلك الاختلاط الذي أجازوه ويعتبرونه حالة من أحوال الحياة قد ينتج عنها ضرر وقد لا يحدث ذلك، أي أنهم لا يستبيحون تلك الأمور المحرمة التي عددها الشيخ البرّاك والتي بنى عليها فتواه). ولم يقلل البرّاك من شأن تداعيات الفتوى كونها تنطوي على حكم بالتكفير والقتل، وباتت في متناول عامة الناس، أي أنها قابلة للاستعمال من أي شخص يعتنق فتوى من هذا القبيل، بحيث يقوم بتنفيذ القتل ضد من يصدق عليه حكم الاختلاط.

الحربي: فتوى البرّاك تؤسس لمسلخ مركزي

ماقاله الفوزان مداورة، وضعه خلف الحربي في صحيفة (عكاظ) في ٢٨ فبراير بحروف واضحة بدأها بالعنوان (ماذا تركتم لتنظيم القاعدة). وضع الحربي فتاوى التكفير والقتل في الميزان: إما أن تكون فتاوى التكفير والقتل صحيحة وحينها يجب إنشاء مسلخ مركزي في كل شارع لذبح من يحاول إبداء وجهة نظره في قضية خلافية، أو أن تكون فتاوى القتل والتكفير خاطئة ومتسرعة فنجد أنفسنا مضطرين للغرق في بحر من الفوضى الفكرية والقانونية واللغوية حيث نرفض أن نسمي الأشياء بمسمياتها الصحيحة ونتهرب من اعتبار هذه الفتاوى (الخاطئة والمتسرّعة) تحريضاً صريحاً على ارتكاب أعمال أرهابية.

وسخر من اللغة المراوغة التي يستعملها بعض المشايخ في صوغ فتاويهم، وتضمين عبارات غاضمة تحتمل الرأي ونقيضه، أو تقدّم إجابات غير حاسمة، بل هي أقرب الى لغة الإشارة التي لا يفهمها سوى فريق متخصّص في توظيف الفتاوى لأغراض قتالية. وذكر الحربي عبارة مشهورة (وأدى ذلك إلى) التي ترد في فتاوى العلماء، والتي تؤول، حسب قوله، إلى (وضع المجتمع في مأزق فكرية قاسية بين فترى وأخرى، لماذا يهرب بعضهم من مواجهة الواقع المرير فلا يتدخلون في معالجة قضايا الفقر والبطالة والفساد الإداري ولا نسمع أصواتهم العالية إلا في قضايا طارئة هم من افتعلها وهم من اختار توقيتها؟!).

وأخيراً، وقف الحربي على نقطة مفصلية وتحدث بصراحة أكبر (كل مشكلة تنظيم القاعدة أنه يكفّر مخالفيه ويقتلهم دون رحمة، فما الفرق بيننا وبين هذا التنظيم الارهابي إذا كنا سنفعل الشيء ذاته؟، هل تظنون أن تنظيم القاعدة يقتل الناس دون فتاوى من مشايخ معتبرين يشرعون له عملياته الاجرامية؟، إن الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم يؤمنون بأن ما يفعلونه هو الحق وأن ضحاياهم كفار كان يجب قتلهم منذ زمن بعيد، فما الفرق بينهم وبين شاب يقرأ فتاوى التكفير فيقتل مسلماً بريئاً أو يفجّر نفسه في مجمع تجاري مختلط دفاعاً عن فكرة شيخه الذي يملك الحقيقة الكاملة؟!).

حجب موقع البرّاك أم (فركة إذن)

في غمرة الجدل المتصاعد والمتمدد أفقياً وعمودياً، بدا أن ثمة خطوة ما أقدمت عليها جهة رسمية لتسجيل موقف أولاً، ونقل الجدل ٍالى مكان آخر، أو إضفاء لون مختلف عليه، ولربما هناك من تنبّه إلى أن التقاء الفكر القاعدي مع فتاوى البرّاك وزملائه يؤكد تقييمات بعض المراقبين من أن مصادر التكفير لدى شبكة القاعدة هي محلية وتتغذى على فتاوى صادرة عن مشايخ في الداخل بمن فيهم الشيخ البرّاك.

في محاولة لتخفيض درجة حرارة الجدل الدائر حول فتوى البرّاك، نشرت صحيفة (المدينة المنورة) في الأول من مارس الجاري خبراً تؤكد فيه حجب موقع الشيخ عبد الرحمن البرّاك على المتصفحين داخل السعودية. ولكن في الوقت نفسه، فإن قرار الحجب لم يمنع متصفحي الخارج من الدخول على موقع البرّاك الذي تتصدّره فتوى (الاختلاط). وقد يعود ذلك الى أن السلطات الحكومية أرادت وقف السجالات الإعلامية والثقافية الدائرة في الداخل بين التيار الديني السلفي والليبراليين الذين يخوضون منذ سنوات حرباً ثقافية من أجل إثبات حقهم في التعبير عن أنفسهم ككيان ثقافي وكأفكار في شؤون المجتمع والثقافة والدولة.

وبحسب ما أوردته صحيفة (المدينة) السعودية، في الأول من مارس، فإنه تم أيضا حجب موقع (نور الإسلام)، الذي يشرف عليه الشيخ محمد الهبدان، القريب الصلة للغاية بالشيخ عبد الرحمن البراك، وللشيخ الهبدان فتاوى مثيرة للجدل سببت لغطاً واسعاً. وذكرت بعض المصادر بأنه ويتوقع أن يكون خبر الصحيفة السعودية محاولة لامتصاص النقمة والإيحاء بأن السلطات الحكومية تقوم بفعل ما حيال الفتوى المثيرة للبراك. وأثارت فتوى الشيخ البراك، إهتمام وسائل الإعلام العربية والعالمية، وتناولتها بالنقد الشديد، واعتبرها الكتاب المحليون بأنها مسيئة للنظام الإجتماعي في البلاد.

حجب الموقع لم يدم سوى يوم واحد، فيما أعيد فتحه في اليوم التالي، الأمر الذي أثار استغراب كثيرين توقعوا أن تقوم السلطات السعودية باتخاذ اجراءات أكثر جدية في بلد يحاول أن يقدّم صورة عن انفتاحه الثقافي والتعليمي للخارج، فيما نظر آخرون الى ذلك الإجراء بأنه أشبه ما يكون بـ (فركة إذن) للشيخ البرّاك ولتيار سلفي متشدد ينتمي كثيرون إليه بمن فيهم موقعو بيان النصرة عن موقفه، وهناك من أراد بيعهم موقفاً بأن في العائلة المالكة من بيده الإيذاء والعفو.

بن حزام: إحجروا على البرّاك

في مقال تصعيدي وغير مسبوق، كتب فارس بن حزام مقالاً في جريدة (الرياض) في ٢ مارس الجاري بعنوان (إحجروا على مُطلق الفتوى)، بدأها بمناقشة مسمى (علاّمة) وهو الذ يسبغ على البرّاك ويسبق إسمه، وعلّق بن حزام بالقول (هي تسمية لها أبعادها الكبيرة، من حيث منح القدسية لصاحبها بلا معنى). وعارض من يضع تقدّم السن شرطاً لمنح القدسية، إذ ليس هناك من دليل عليه. وبناء على خبرته في قراءة الفكر القاعدي، استعرض بعض فتاوى القتل ووضع في السياق نفسه فتوى البرّاك التي يدعو فيها الى قتل من يجيز الاختلاط في العمل ومؤسسات التعليم. ويضع الفتوى في سياق سياسي لم يكشف عنه بقوله (وخطورة الفتوى، التي تم توريط صاحبها فيها، أنها لا تقتصر على من أصدر فتوى جواز الاختلاط في العمل والتعليم، بل تمتد إلى الراعي السياسي لها). وفي توضيحه اللاحق ما يزيد الأمر غموضاً وكأن ابن حزام يمسك بمعطيات عن إما صراع أجنحة داخل العائلة المالكة، وإما عن جهات قاعدية متسترة تحيط بالبرّاك كما توحي بعض العبارات، المهم أن ثمة جهة ما دخلت على الخط لتوجيه البرّاك نحو اصدرا الفتوى في هذا الوقت بالذات، يقول ابن حزام (من أفتى بالقتل بعد يوم من صدور الأحكام ـ أحكام ضد مموّل للقاعدة وآخر يفتي بالقتال في العراق ـ لا يعي معنى فعله، والأقرب لدي، أن من رتب المسألة كلها، في صياغة سؤال الفتوى، وطريقة العرض، وموعد العرض على الموقع الإلكتروني، لم يكن مطلق الفتوى، بل من يعمل معه. فهذا المفتي لا يقرأ الصحف، ولم يطلع على خبر محكمة الإرهاب قبل يوم من إعلان فتواه، فجاءت الفتوى لتخلق جواً متوتراً، واختباراً حقيقياً على قدرة المواجهة). ولهذا السبب طالب ابن حزام بوضع البرّاك في محجر صحي لدرء أخطار فتاويه على المجتمع.



فتاوى التكفير والقتل تؤسس لإقامة مسلخ مركزي في كل شارع لذبح من يحاول إبداء وجهة نظره في قضية خلافية، أو الغرق في بحر من الفوضى

الراشد: فتوى البرّاك تسترخص أرواح الناس

يبدو أن ما قاله راشد فهد الراشد في مقالته الأولى لم يكن كافياً، الأمر الذي تطلب عودة أخرى الى موضوع فتوى البرّاك في الاختلاط، فكتب في ٢ مارس الجاري مقالاً في صحيفة (الرياض) بعنوان (ماذا أنتجت فتاوى التكفير وإهدار الدماء..؟!)، بعد أن تبيّن له مشهد التفاعلات المتواصلة على فتوى البرّاك، وبدأ مقالته بمقدمة ماخوزية محثوثاً بالحريق الذي التهم الخيمة الثقافية بنادي الجوف الأدبي والذي وجّهت فيه أصابع الإتهام الى متطرّفين مقرّبين من التيار السلفي (نكتب وحالة الحزن تجتاح كل فضاءاتنا، وينمو في دواخلنا، أو هو يكبر على الأصح الوجع، والتفتت من الحالة التي أوصلنا إليها شيوخ التكفير، وإهدار دماء الناس، وكأنما أصبح الانسان في درجة من الرخص، والابتذال أقل من قشرة بصل، أو نفاية من النفايات القذرة. فكرامته مستباحة، وقيمته هشة قميئة، ووجوده كوجود بعوضة، أو أتفه).

واستعاد الراشد ذاكرة مثخنة بالتحديات والهواجس على المستقبل، مستحضراً تطلعات شعب في دولة تسير في خط العلم والمعرفة وركب التطوّر، أمام ذلك كله (لقد تكرّس الخوف لدينا لأن المنجز الفكري والرؤيوي والتحديثي، يقابل بشراسة وحدة وجهل شيوخ التكفير، واستباحة أعراض المسلمين، وقذف المحصنات من النساء بالرذيلة، والأفعال الساقطة لمجرد أنها تذهب الى عملها في أحد المستشفيات، أو المؤسسات الأهلية). وفي الاخير تساءل الراشد (نسأل شيوخ التكفير ، فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها..إلى متى سيظل هؤلاء يمارسون فتاوى التكفير، وإهدار الدماء، وخلخلة أمن الناس؟).

الدخيل: البرّاك أزمة منطق

أستاذ علم الاجتماع في جامعة الملك سعود بالرياض والكاتب خالد الدخيل ناقش في مقالته المنشورة في جريدة (الإتحاد) الإماراتية في ٣ مارس الجاري بعنوان (فتوى التكفير: ما رأي هيئة كبار العلماء؟)، الأساس المنطقي للفتوى، متجنّباً الخوض في انشعابات مدرسية داخل مجتمع العلماء، على أساس دلالة النص، وحصرية تلك الدلالة. وانطلاقاً من ثابت أن فتوى البرّاك هي من داخل المنطق الديني، ولكنه منطق يستمد عناصره وآلياته من مدرسة مختلفة ليست بالضرورة تحقق في نفسها صفة التمثيل للحكم الإسلامي العام، مورد إجماع الأمة أو الغالبية الساحقة فيها.

الأساس المنطقي لفتوى البرّاك يقوم على الربط الحميمي والقهري بين الاختلاط والاحرام، بما يصدق عليه كل ما يؤول الى الوقوع في الحرام فهو حرام، مثل دخول الحانات، ولذلك فهو يرى بأن الاختلاط يقود إلى (النظر الحرام والتبرّج الحرام والسفور الحرام والخلوة الحرام والكلام الحرام بين الرجال والنساء) ولذلك فهو (يتضمن) الحرام بما يجعله حراماً. من وجهة نظر الدخيل، فإن هذه فرضية تعسفية، لأنه في حال اعتبار الإختلاط مشروطاً بصور الحرام الواردة هنا، فإن ذلك يطيح بأمور كثيرة في الحياة وفق هذا التسلسل المنطقي القهري، وبذلك يصبح ركوب السيارة والقطار والطائرة والباخرة لما يتضمنه من اختلاط حراماً يستوجب الكفر والقتل.



يرى الدخيل بأن (الواقع الذي يتصوّره الشيخ للاختلاط هو واقع متخيّل، لا علاقة له بما حدث أو ما يمكن أن يحدث في حالة الإختلاط، واستتباعاً لا علاقة له بالنص الديني الذي يفترض أن يكون المرجعية الحاسمة للتعامل مع هذا الواقع. لكن مأزق الشيخ، ومأزقنا معه، أنه من دون ذلك الافتراض التعسفي تسقط فتواه من أساسها). وإلا ليس كل من يبيح الاختلاط يستحل ما قد يترتب عليه من محرمات، ولكن الشيخ سيرفض مثل ذلك الجواب، الذي يطيح بفتوى بل فتاوى له سابقة فضلاً عن عشرات الفتاوى لدى علماء من مدرسته. ولذلك ما يفشيه منطق البرّاك (أن من يبيح الاختلاط يستحل بالتبعية تلك المحرمات).

وينفرد الدخيّل، ربما، في وضع فتوى البرّاك في سياقها الطبيعي، فهو يرى بأن الفتوى كان يمكن أن تمر دون ضجيج وصخب إعلامي واجتماعي، ولكنه (الواقع السياسي والفكري الذي صدرت فيه)، حسب قوله. ففي هذا الواقع تجاوز البرّاك منطق الدين مع منطق الدولة، حيث يفترض الأخير (أن تكون مشروعية استخدام العنف، أو التلويح به حقاً حصرياً للدولة دون سواها. ومن هذه الزاوية، كان من الممكن أن يخضع البراك للتحقيق والمساءلة حول فتوى التكفير التي أهدر بها دماء كثيرة لمسؤولي ومواطني الدولة، وخارج مقتضيات المؤسسة القضائية للدولة).

وفق هذه الرؤية، أثار الدخيل سؤالاً حول موقف (هيئة كبار العلماء) في المملكة من هذه القضية، (لأنها المؤسسة المناط بها حسم جدل كهذا. حتى الآن لم يصدر عن هذه الهيئة شيء. نحن إذن أمام إشكالية تتعلق بطبيعة المنطق الديني في إطار الدولة، وطبيعة العلاقة بين الدين والدولة داخل هذا الإطار. والإشكالية أن المتطرف لا يعتبر أن ارتباطه بالدين تشكل في إطار الدولة، وأنه يجب بالضرورة أن يمر عبر الدولة).

الأماكن المأثورة في المدينة المنورة

ويقصد بالأماكن المأثورة، الأماكن التي جاء في فضلها نص قرآني، أو حديث نبوي، أو أثر، أو المواضع التي وطأها النبي صلى الله عليه وسلم، أو صلّى فيها، أو دعا بها. وقد تناول هذه الأماكن بالتحليل والتوصيف العديد من العلماء والمؤرخين والفقهاء، وجلّ المصادر التي كتبت عنها اتفقت على فضل المدينة وبركتها بقدوم المصطفى عليه السلام اليها، وبما نزل فيها من آيات وما صدر من أحاديث، ولما اشتملت عليه من أماكن مأثورة. وقد كان من ديدن السلف الصالح، تعظيم المدينة وآثارها، لأن محبة المدينة والسكنى بها، جاءت بها عشرات الأحاديث، فكانت دافعاً لهم للإقتداء والتأسي والتلمس لآثار النبي صلى الله عليه وسلم، دون المبالغة أو المغالاة في ذلك، وقد قسمت آثار المدينة الى سبعة أقسام:

القسم الأول: المسجد النبوي

وما يحتويه من أماكن مباركة، كالروضة والمنبر، والحجرة النبوية الشريفة (القبر الشريف) والأسطوانات. وقد وردت أحاديث عديدة في فضائل هذه الأماكن المباركة. أول الأماكن المأثورة هي المسجد النبوي الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة، وشاركه الصحابة الكرام في وضع لبناته، فكان أول مسجد أسس على التقوى. وقد جاء في فضله العديد من الأحاديث الصحيحة، وكذلك في فضل الصلاة فيه. أما القبر الشريف (الحجرة النبوية الشريفة) فقد رغّب العلماء في زيارته، للتأسي والإعتبار بسيد الأبرار، والمعلوم أن زيارة القبور مشروعة، ولها أدعية مأثورة، وردت في الصحاح والسنن ليس هنا مجال بسطها، فما بالك بقبره صلى الله عليه وسلم. والمعلوم عند بعض العلماء أن البقعة التي دفن بها النبي صلى الله عليه وسلم هي أفضل بقاع الأرض.

ومن الأماكن المأثورة في المسجد النبوي: الروضة والمنبر، وقد جاء في فضلهما عدة أحاديث منها: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي). ومنبر الرسول وردت فيه عدة أحاديث صحيحة، تحدثت عن صناعته وشكله ومراتبه أو عدد درجاته، كما وردت في البخاري ومسلم، فالأخير يذكر أن منبره كان ثلاث درجات، وقد اختلفت الروايات في عدد درجات المنبر، هل هي ثلاث أم اثنتان؟ لكن توجيه العلماء للحديث كان كفيلا بدرء التعارض، فقالوا: إن من ذكر انه درجتان، لم يعتبر المقعد، ومن ذكر أنه ثلاث درجات اعتبره. هذا وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب متكئاً على جذع نخلة قبل صناعة المنبر، وأورد ابن تيمية عن تبرك الصحابة بمنبره، وذكر أن الإمام أحمد وغيره رخصوا في جواز التمسح بالمنبر ورمانته، والرمانة هي موضع مقعد النبي صلى الله عليه وسلم وموضع يده، لكن المنبر والرمانة احترقا، فزال ما رخص فيه من جواز التمسح أو التبرك، كما يقول ابن تيمية.

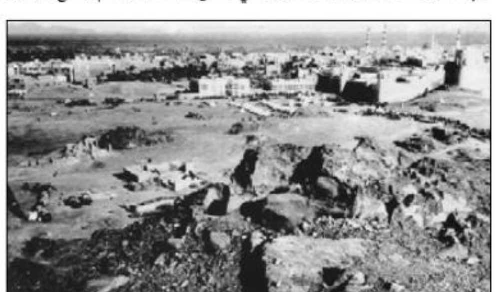
أما الروضة الشريفة فإن مما يزيد في أهميتها كأثر مبارك وجود الأساطين (أي الأعمدة والسواري) التي كان يصلي بجوارها النبي صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته الكرام. فقد كان كبار الصحابة يصلون عند تلك السواري، وفي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: (لقد أدركت كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبتدرون السواري عند المغرب). من تلك الإسطوانات:

١/ **اسطوانة المخلّقة**، أو أسطوانة المصحف، أو الأسطوانة المطيّبة، أو أسطوانة الجذع. وهي الإسطوانة التي تقع عن يمين الواقف في المصلى الشريف من جهة القبلة، وذكر ابن حجر في (الفتح) أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها.

٢/ **اسطوانة القرعة**، وتعرف بأسطوانة عائشة، رضي الله عنها. وتقع هذه الأسطوانة في الروضة الشريفة بين المنبر والقبر، وقد ذكر السمهودي عن صلاة السلف في هذا الموضع عدة روايات.

٣/ **أسطوانة التوبة**، وتعرف بأسطوانة أبي لبابة رضي الله عنه، وقد سميت به، لأنه ارتبط اليها حتى أنزل الله في توبته.

٤/ **أسطوانة السرير**، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع سريره



المدينة المنورة عام ١٩٠٧، حيث يظهر بعض من سورها والمسجد النبوي الشريف

وفراشه في أثناء معتكفه، وكان ذلك بين الأسطوان التي كانت تجاه القبر وبين القناديل، وقد ذكر ابن ماجة في (السنن) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف، طرح له فراشه وراء اسطوانة التوبة.

٥/ **أسطوانة الوفود**، التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عندها لاستقبال الوفود من العرب، وكان يجلس بها سروات الصحابة.

٦/ **اسطوانة المحْرس**، أو أسطوانة أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي كان يحرس باب النبي صلى الله عليه وسلم، ويصلي عندها، فسميت بالمحرس.

٧/ **أسطوانة التهجّد**، وتقع وراء بيت فاطمة من جهة الشمال.

القسم الثاني: المساجد والدور

من المساجد والدور والمواضع التي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة أو الدعاء أو الجلوس فيها:

مسجد قباء: فقد أوردت مصادر الحديث وغيرها العديد من الأحاديث



المنبر النبوي ويعود إنشاؤه الى عهد السلطان العثماني مراد في سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م



المحراب النبوي: ويقع في الروضة الشريفة، أنشأه عمر بن عبدالعزيز، ثم جدده الأشرف قايتباي عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م

عن فضل مسجد قباء، وكيفية بنائه. فهو أول مسجد أسسه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة عندما وصل اليها مهاجراً، وقد شارك صلى الله عليه وسلم في بنائه. وبقي المسلمون يصلون في مسجد قباء الى أن حولت القبلة، فأرادوا إعادة بناء المسجد، فجاء اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وخط القبلة، وشاركهم في بنائه. وذكر بعض العلماء أن المقصود بالآية: (لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى...) هو مسجد قباء، وهو محل خلاف.

مسجد الجمعة: ويقال مسجد الوادي، ومسجد عاتكة. وفي هذا الموضع كانت أول جمعة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة.

مسجد الفضيخ: عُرف أيضاً بمسجد الشمس، كما يقال له مسجد بني النضير. روي أنه لما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير، ضرب قبته قريباً من موضع مسجد الفضيخ، وكان يصلي فيه ست ليال، فلما حرمت الخمر، خرج الخبر الى أبي أيوب ونفر من الأنصار وهم يشربون فيه فضيخاً، فحلوا وكاء السقاء فهراقوه فيه، وبذلك سمي مسجد الفضيخ.

مسجد بني قريظة: عرف بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في هذا الموقع أثناء محاصرته لبني قريظة.

مسجد مشربة أم إبراهيم: ومشربة أم ابراهيم من صدقات النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اتخذ النبي هذا الموضع سكناً للسيدة مارية القبطية أم إبراهيم، لذا ارتبط اسم الموضع بها.

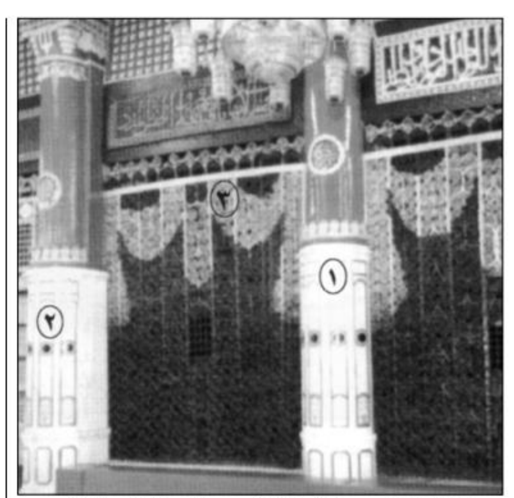
مسجد بني ظفر: يقال له مسجد البغلة، وهو بطرف الحرّة الشرقية في شرقي البقيع.

مسجد الإجابة: هو مسجد بني معاوية بن مالك بن عوف من الأوس، وهو في شمالي البقيع على يسار السالك الى العريض.

مسجد الفتح: والمساجد التي حوله، وتعرف كلها بمساجد الفتح، ومسجد الفتح هو الأول المرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب، غربيه وادي بطحان، ويقال له أيضاً مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى، وقد صلى فيه الرسول كما في المساجد التي حوله، شأن المساجد المذكورة سالفاً.

مسجد القبلتين: يقال له مسجد بني سلمة، غربي جبل سلع، وفيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء صلاته فيه بالتحول من توجهه الى بيت المقدس الى الكعبة في المسجد الحرام في مكة. وتفيد الروايات بأن الرسول صلى من الظهر ركعتين باتجاه بيت المقدس وركعتين أخريين باتجاه الكعبة في البيت الحرام بمكة. وبذا سمي مسجد القبلتين.

مسجد السقيا: روي عن ابي هريرة قوله: عرض النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالسقيا التي بالحرّة متوجها الى بدر وصلّى بها. وفي رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بحرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتوني بوضوء، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال: اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك ودعا لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلي ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين.


(١) أسطوانة السرير؛ (٢) أسطوانة الحرس؛ (٣) جدار المقصورة الغربي

مسجد ذُباب: ويعرف بمسجد الراية، ويقال له مسجد قرين، ويقع على جبل ذُباب، شمال غرب المسجد النبوي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب قبته على جبل ذباب في معركة الخندق وصلى في ذلك الموضع.

مسجد أحد: ويعرف أيضاً بمسجد الفسح، وهو المسجد اللاصق بجبل أحد، على يمين الذاهب الى الشعب الذي فيه المهراس. وقد أفاد المؤرخون وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر في موضع هذا المسجد بعد انقضاء القتال يوم أحد.

مسجد في ركن جبل عينين الشرقي: على قطعة منه، وهذا الجبل هو الذي كان عليه الرماة يوم أحد، وهو في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه.

مسجد العسكر: ويعرف أيضاً بمسجد الوادي، شمال مسجد عينين السابق، وقد روي أن مصرع حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه كان في ذلك الموضع، فلما وقف عليه النبي ترحم عليه، وصلى عليه.

مسجد السجدة: كان على يمين طريق السالك الى أحد من طريق الأسواف، عند نخيل معروفة بالبحير. وللمسجد أسماء منها: مسجد أبي ذر، ومسجد الشكر، ومسجد البحيري، ومسجد الأسواف، ومسجد السافلة. وهو مسجد صلى فيه رسول الله.

مسجد البقيع: كان على يمين الخارج من درب البقيع، غربي مشهد عقيل بن أبي طالب وأمهات المؤمنين، ويعرف بمسجد أبي بن كعب رضي الله عنه، ويقال له مسجد بني حديلة. كان النبي يختلف اليه فيصلي فيه غير مرة.

مسجد المصلّى، وهو من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم الأعياد. ويعرف بمسجد الغمامة، الواقع في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد النبوي. وهناك مسجدان آخران صلى النبي فيهما العيد هما: مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقع شمال غرب مسجد المصلّى؛ ومسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، شمال مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

مسجد الشجرة: ويعرف بمسجد ذي الحليفة أيضاً، والحليفة: الميقات المدني، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه إذا خرج الى مكة.

مسجد بني حرام: من بني سلمة من الخزرج. ومنازلهم تقع بالقاع في غربي مساجد الفتح ووادي بُطحان عند جبل بني عبيد.

مسجد الخربة: لبني عبيد من بني سلمة، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه مراراً.

مسجد جهينة وبلي: روى ابن شبّة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد جهينة، وروى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط المسجد الذي لجهينة ولمن هاجر من بلي، ولم يصل فيه. ويقع المسجد غربي حصن صاحب المدينة، والسور القديم بينها وبين جبل سلع.

مسجد عند بيوت المطرفي: تفيد الروايات أن النبي صلى في المسجد الذي عند بيوت المطرفي عند خيام بني غفار، وتلك الناحية كانت في غربي سوق المدينة.

مسجد بني زُريق: روي أنه أول مسجد قرئ فيه القرآن، وأن رافع بن مالك الزرقي لما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت، فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه فقرأه عليهم في موضع المسجد. وروي أن الرسول توضأ فيه وعجب من قبلته، ولم يصل فيه.

مسجدا بني ساعدة: من الخزرج، حيث صلى صلى الله عليه وسلم فيه، وهو يقع شرقي سوق المدينة وفي بئر بُضاعة، كما صلى في آخر لبني ساعدة يقع خارج بيوت المدينة، كان في شامي جبل ذباب الذي عليه مسجد الراية.

مسجد بني خدارة: وهم إخوة بني خدرة من الخزرج، وروي أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلّى وحلق رأسه فيه.

مسجد راتج صلى فيه النبي، وشرب من بئر جاسوم كانت هناك، وهو يقع شرق جبل ذباب جانحاً الى جهة الشام.


صورة قديمة للروضة الشريفة

مسجد بني عبد الأشهل: ويقال له مسجد واقم، وأخرج الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى فيه. وتقع منازل عبدالأشهل في الحرة الشرقية.

مسجد القَرْصَة: والقرصة ضيعة لسعد بن معاذ رضي الله عنه، وكان عليه السلام يأتي دور الأنصار فيصلي في مساجدهم، وكان هذا واحداً منها.

مسجد بني حارثة: وهم من الأوس، كانت منازلهم في سند الحرة، ويعرف المسجد أيضاً بالمُستراح، وقد صلى فيه النبي عليه السلام.



ضواحي المدينة المنورة يرى بينها قبة ثنية الوداع (١٩٠٧م)

مسجد الشيخين: ويقال له مسجد البدائع، ومسجد العدوة، وقد صلى عليه الصلاة والسلام في المسجد وبات فيه، وصلى فيه الصبح يوم أحد ثم غدا منه الى أحد.

مسجد بني دينار بن النجار: من الخزرج، ويقال له مسجد الغسالين، وقد صلى فيه النبي حين كان يعود أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

مسجد بني عدي بن النجار، ومسجد دار النابغة: في بني عدي ايضاً. تقول الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في دار النابغة، واغتسل في مسجد بني عدي. ومنازل بني عدي غربي المسجد النبوي.

مسجد بني مازن بن النجار: وهو مسجد خطه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يصلِ فيه.

مسجد بني عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار: وكانت منازلهم عند بقيع الزبير، وقد صلى الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجدهم.

مسجد بقيع الزبير: وقد صلى النبي عليه السلام الضحى فيه عدّة ركعات.

مسجد صدقة الزبير في بني محمم: ويقع غربي مشربة أم إبراهيم، في موقع يقال له الجزع المعروف بالزبيريات، وقد صلى الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم فيه.

مسجد بني خدرة: من الخزرج، ويقع مقابل بيت الحية، وهو مسجد صغير.

مسجد بني الحارث بن الخزرج ومسجد السنح: وروى ابن شبّة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني الحارث بن الخزرج ومسجد السنح. ومنازل بني الحارث تقع شرقي بُطحان وتربة صعيب.

مسجد بني الحبلى: ومنازلهم بين قباء وبين دار بني الحارث التي في شرقي بطحان، وهم رهط عبدالله بن أبي بن سلول. وقد صلى النبي عليه السلام في مسجدهم.

مسجد بني خطمة ومسجد العجوز: وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى فيهما.

مسجد بني أمية بن زيد: وهم من الأنصار، وكان مسجدهم في موضع الكِبا بين الخربتين اللتين عند مال نهيك، وقد صلى الرسول في مسجدهم هذا.

ومن المساجد التي صلى فيها الرسول في المدينة: **مسجد بني وائل**: وهم من الأوس؛ **ومسجد بني واقف**: من الأوس أيضاً؛ **ومسجد بني أنيف**: وهم حي من بلي، زارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يعود طلحة بن البراء، فتعاهدوا المكان وأقاموا فيه مسجداً؛ **ومسجد دار سعد بن خثيمة**: ويقع في قباء؛ **ومسجد التوبة**: بالعصبة، حيث منازل بني جحجبا من بني عمرو ابن عوف من الأوس؛ ومن بين المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: **مسجد النور؛ ومسجد عتبان بن مالك**: ويقع بأصل أطمه المسمى بالمزدلف بدار بني سالم بن الخزرج؛ **ومسجد ميثب**: صدقة النبي صلى الله عليه وسلم؛ **ومسجد المنارتين**: في طريق العقيق الأكبر؛ ومسجد فيفاء الخَبّار؛ **ومسجد بين الجثجاثة وبئر شداد بطرف وادي العقيق**.

وهناك دور ومواضع ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها، أو جلس فيها، ولم تتخذ مساجد ومنها:

مربد الحكم بن أبي العاص؛ دار الشفاء وقد صلى فيها النبي عليه السلام؛ ودار عمرو بن أمية الضمري؛ ودار بُسرة بنت صفوان حيث صلّى الرسول بها؛ ودار يعلى؛ ودار أم سليم؛ ودار أم حرام بنت ملحان زوجة الصحابي عبادة بن الصامت، رضي الله عنه.

القسم الثالث: الآبار

هناك العديد من الآبار التي ارتبط ذكرها بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتي وقف عليها المؤرخون بالتفصيل والتوصيف، كالفيروزآبادي في (المغانم) والسمهودي في (الوفا). من تلك الآبار:

بئر أريس (بئر الخاتم): حيث تفيد الروايات بأن النبي عليه السلام قد دخلها وتوضأ منها وكشف ساقيه ودلاّهما في البئر.

بئر الأسواف: وقد جلس عليها صلى الله عليه وسلم، وأدلى رجليه فيها.

بئر أُنا: وقيل أنّا، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته عليها حين حاصر بني قريظة، وصلى في المسجد الذي هناك، وشرب من البئر، وربط دابّته بالسدرة التي في أرض مريم بنت عثمان.



بئر الخاتم المعروف ببئر أريس

بئر أنس بن مالك بن النضر: فقد استسقاه رسول الله، فسقاه ماءً صبّ عليه اللبن. وقيل أن ماءها عذب، وكانت تسمّى في الجاهلية (البرود).

بئر إهاب: يقال أن رسول الله أتاها بالحرّة، وهي يومئذ لسعد بن عثمان.

بئر البُصّة: روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالاتهم؛ فجاء يوماً أبا سعيد الخدري، فقال: هل عندك من سدر أغسل به رأسي؛ فإن اليوم الجمعة؟ قال: نعم، قال: فأخرج له سدراً وخرج معه الى البُصّة، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصّة.

بئر بُضاعة: وهي لأبي أسيد الساعدي، قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق فيها، فهي يُتبشَّر بها ويُتيمّن بها.

بئر جاسوم: فقد صلّى عليه السلام في مسجد راتج، وشرب من جاسوم.

بئر جمل: وهو من الآبـار التي توضأ منها النبي صلى الله عليه وسلم.



صورة قديمة لمقبرة البقيع قبل أن يدمرها الوهابيون

بئر حاء: وكانت لأبي طلحة، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

بئر حلوة: قيل أن الرسول هجر نساءه، وكان يقيل تحت أراكة على حلوة، وهي بئر كانت في الزقاق الذي فيه دار آمنة بنت سعد، وبه سمي الزقاق (زقاق حلوة) ويبيت في مشربة له.

بئر ذرع: وهو بئر بني خطمة توضّأ فيها.



قبة العباس بن عبدالمطلب عم النبي في البقيع وتضم قبور بعض أهل البيت (١٩٠٧)

بئر رومة: وقد روي حديث عنها يقول: (نعم الحفيرة حفيرة المزني).

بئر السقيا: روي عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا.

بئر أبي عنبة: قيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، ضرب عسكره على مائها، وهي على ميل من المدينة.

بئر غُرس: ويقال بئر الأغرس، روي قول لأنس: (ائتوني بماء من بئر غرس، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ). وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري، بئر غرس).

وهناك بئر القراصة، وبئر القريصة، الذي توضأ منه رسول الله، ويسمى بئر حارثة، ويقال أنه صلى الله عليه وسلم شرب منها وفيها سقط خاتمه.

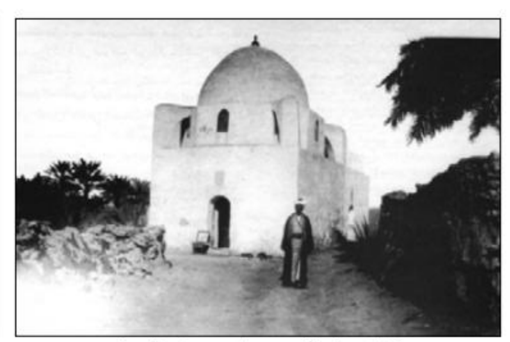
بئر اليسيرة: روي أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى بني أمية بن زيد فوقف على بئر لهم، فقال: ما اسمها؟ قالوا عسيرة، قال: لا، ولكن اليسيرة، قال: وبصق فيها وبرّك فيها.

القسم الرابع: مقبرة البقيع

تعد مقبرة البقيع أول مقبرة اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بعد هجرته الى المدينة المنورة، وقد وردت عدة روايات تبين أنه صلى الله عليه وسلم كان يرتاد لأصحابه مقبرة يدفنون فيها، فكان قد طلب نواحي المدينة وأطرافها، ثم قال: أمرت بهذا الموضع ـ يعني البقيع. وكان يقال بقيع الخبخبة، وكان أكثر نباته الغرقد. كان أول من قبر هناك من المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً عند رأسه وقال: هذا قبر فرطنا، وكان إذا مات المهاجر بعده، قيل: يا رسول الله، أين ندفنه؟ فيقول: عند فرطنا عثمان بن مظعون. وفي رواية عن أبي داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد دفن عثمان بن مظعون أخذ حجراً ووضعه عند رأسه، وقال: أتعلّم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي.

وورد في فضائل مقبرة البقيع العديد من الأحاديث، جمعها كل من ابن شبة، والفيروزآبادي، والسمهودي. ومن فضائل البقيع التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم:

• دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته على أهل البقيع، فقد ورد



قبة الصحابي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه



جبل أحد

عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً، مؤجلون. وإنا، إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد.

- إن أهل هذه المقبرة هم أول من يحشر من مقابر الأرض بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد روى الترمذي من طريق ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين.

وأفرد السمهودي فصلاً في ذكر من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت. وقال الفيروزآبادي: لا شك أن مقبرة البقيع محشوّة بالجماء الغفير من سادات الأمة، غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور وتجصيصها، أفضى الى انطماس آثار أكثرهم، فلذلك لا يعرف قبر معيّن منهم إلا أفراداً معدودة.

القسم الخامس: فضل (أُحُد)

يعتبر جبل أحد، الواقع في الجهة الشمالية للمسجد النبوي الشريف، من أهم الأماكن المأثورة في المدينة المنورة، نظراً لاتباطه بأحداث مهمة في التاريخ الإسلامي، ولتردد النبي صلى الله عليه وسلم عليه من حين لآخر.

عن جبل أحد وفضله، روى البخاري في صحيحه عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة، قال: (هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أحداً جبل يحبنا ونحبه، وهو على ترعة من ترع الجنة، وعير على ترعة من ترع النار). ويقع بجوار أحد جبل عينين، ويعرف أيضاً بجبل الرماة، وهو جبل صغير جنوب جبل أحد، وقد اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم موضعاً لرماة المسلمين يوم أحد.

اشتهر جبل أحد بوجود قبور شهداء معركة أحد. فبعد انقضاء غزوة أحد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن الشهداء في المكان الذي شهدته أحداث المعركة في سفح جبل أحد. وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على شهداء أحد، وكان يتعهدهم بالزيارة ويأمر بزيارتهم، وقد وردت روايات عديدة في فضل زيارتهم، ومتابعة الصحابة لما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة قبر حمزة رضي الله عنه وباقي الشهداء من الصحابة.

وروى أبو داوود في سننه حديث: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نُرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل: (ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون). كما أورد السمهودي عدة روايات في زيارة الصحابة والسلف الصالح لمقابر شهداء أحد.

ويضم جبل أحد شعب أحد، وهو الشعب الذي انحاز إليه النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين بعد التحول الذي شهدته غزوة أحد لصالح المشركين، بعد أن كانت في بادئ الأمر تسير لصالح المسلمين. ومنطقة جبل أحد اشتهرت بمساجد صلّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم سبقت الإشارة اليها.

القسم السادس: أودية المدينة

منها: وادي العقيق: جاء في (الصحيح) عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادي العقيق: أتاني الليلة آت، فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجّة.

وهناك وادي بُطحان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بُطحان على بركة من برك الجنّة.

القسم السابع: مواضع متفرقة

وهي مواضع اتصل خبرها بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن بينها:

- أحجار الزيت: موضع بالمدينة، قرب الزوراء، استسقى عنده النبي صلى الله عليه وسلم. جاء في الحديث عن عمير مولى بني أبي اللحم، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي عند أحجار الزيت قائماً يدعو يستسقي رافعاً يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما رأسه.
- أحجار المراء: وهو المكان الذي التقى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بجبريل عليه السلام وهي قباء.

السعودية: فتاوى الصراع على هوية الكيان

د. مضاوي الرشيد

تمر المؤسسة السلفية السعودية في مخاض عسير، فبعد ان كانت تحتل المركزية في تحديد اطار الخطاب الديني، وما يتبع ذلك من تحليل وتحريم، كان في الماضي ملزما للدولة واجهزتها المتعددة، من تعليم وتربية.. نجدها اليوم أصبحت جزءا من تعددية خرجت على الملأ من خلال تعدد منابر الحوار ووسائله ومساحاته. جاءت هذه التعددية نتيجة سياسة الدولة والتي اقتنعت بأن عملية الاحتكار للخطاب الديني قد ادت الى ردات فعل، منها ما طال امن الدولة وهدد شرعيتها عالميا وداخليا، مما اضطرها ان تفتح الحيز الديني للمنافسة والتناحر، علّ ذلك يؤدي الى سقوط الخطاب المعادي لسياستها العامة، وأن تجعل الجمهور المتلقي للخطاب الديني هو الحكم في عملية التنافس والتناحر القائمة حاليا في الداخل السعودي.

ومن هذه البديهية نجد ان فتاوى قتل اصحاب الفضائيات الماجنة، واولئك الذين يحللون الاختلاط، قد كثرت وتكاثرت حتى اصبحت حدثا يوميا تلقفته وسائل الاعلام المكتوبة والافتراضية، لتتعالى اصوات المناصرة من جهة، والمنددة من جهة اخرى، بينما تلتزم السلطة الصمت حاليا ولا تتحرك الا اذا كانت مضامين الفتوى تتعلق بسياستها بشكل مباشر. كل ما يهم السلطة هو الحجر على فتاوى تتطرق بشكل مباشر لشرعيتها والتي تتضمن تحريضا مباشرا على استراتيجيتها، وبما ان الباب قد اقفل على هذا الموضوع، وفهم الكثير من الدعاة والواعظين قواعد اللعبة السياسية والتي حددت المسموح والممنوع.. اتجهت انظار هؤلاء للمجال المفتوح. وهو مجال علاقة الرجل بالمرأة ومنه موضوع الاختلاط، بالاضافة الى مواضيع تتعلق بالاعلام ومضمونه، خاصة ذلك المتهم بافساد الاجيال واخلاقها، معتقدين بذلك انهم يحرسون هوية الكيان السعودي، والذي كان دورهم في رسم ملامحه كبيرا، مما جعله يلتصق بهم وبرؤيتهم التي طوروها خلال عقود طويلة.

ولكنهم ـ الوعاظ والدعاة ـ ازيحوا وبشكل قاطع في السنوات الاخيرة، وان كانوا في الماضي هم من احتكر اطار التحريم والتحليل، الا انهم اليوم يعيشون مرحلة التهميش والاقصاء، حيث ان الدولة اصبحت هي من يحلل ويحرم، رغم احتفاظها بشعارات كبيرة توارثتها من الخطاب السابق. عملية التهميش والاقصاء هذه، هي الاطار والسياق الذي يجب ان نفهم من خلاله حدة الفتاوى السعودية، في مواضيع ربما يعتبرها البعض ـ ومنهم العلماء والفقهاء المعاصرون ـ من الامور الثانوية، والتي لا تتطلب حدود القتل والاخراج من الملة تماما، كما هو حال فتوى عبد الرحمن البراك، والتي اثارت زوبعة اعلامية، ليس فقط في الداخل السعودي، بل في الخارج ايضا.

يعلم البراك وغيره، ان الاختلاط فكرا وممارسة يحصل في جميع مرافق الحياة اليومية السعودية، ولن تمر الا سنوات معدودة حتى يصبح ظاهرة في المؤسسات التربوية والجامعية والاجتماعية، ان ارادت السلطة ذلك. وكما تغاضت السلطة عن مساحات الاختلاط الحالية في مرافق العمل الخاصة، الا انها مستعدة لان تطور التجارب المحدودة الحالية لتتحول الى ظاهرة طبيعية، تماما كما هي الحال في دول الجوار العربي. ومنذ زمن استطاعت ظاهرة الاختلاط ان تكون حتمية وواقعا على الارض، حتى في اجهزة الدولة كالمستشفيات الحكومية، ولم تستطع اصوات الرفض ان تغير المسيرة في هذا المجال بالذات، مهما تعالت نبرة الخطاب الديني وفتاوى التحريم.

تعتبر ظاهرة الفتاوى التي تحرض على العنف ضد المخالف جزءا من ظاهرة أعم وأشمل، وقد عرفتها المجتمعات المختلفة، حتى تلك التي لا تنتمي الى الاسلام. خذ مثلا الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة، او نظيرتها اليهودية، وكلها حركات من نتاج الحداثة، رغم ان خطابها في ظاهره ضد الحداثة وافرازاتها، وتكثر معارك هذه التيارات في مجالات محدودة. فالاصولية المسيحية اليوم منشغلة بموضوع تعليم نظرية داروين وموضوع الاجهاض وغيره. اما اليهودية، وخاصة الاصولية الاسرائيلية، تحاول فرض ذاتها في قضايا تتعلق بالحفاظ على تعاليم اليهودية، وخاصة تلك المتعلقة بإغلاق المحلات ليلة السبت، هذا بالاضافة الى الاستيطان في اسرائيل الكبرى حسب تعريفهم.

وان عدنا الى الحالة السعودية سنجد ان السلفية فيها قد تحولت دون ان تدري الى كاريكاتور للحالة الشاملة بعد عملية ازاحتها من الساحة العامة نتيجة تغير مسار الدولة تحت ضغوط الحقبة التاريخية الحالية، فتقلصت مساحاتها السابقة، وهي اليوم منشغلة بموضوعات قديمة تم تجاوزها من قبل الدولة، وان كانت السلفية القديمة مشروعاً نهضوياً حداثياً قديماً عرفه العالم الاسلامي قبل حداثة الغرب المستوردة، اذ ارتبط بعملية عقلانية هدفها عقلنة الخطاب الديني، وتصحيح الممارسات الفولكلورية التي ارتبط منهجها بالثقافات المحلية المتنوعة.. الا انها تحولت على ايدي علماء السعودية السابقين



والحاليين الى منهج موغل في تعاطيه مع جزئيات الحياة اليومية.

اجتهد سلفيو المسلمين في عصور بعيدة في عملية ترشيد الدين والممارسة، مبتعدين عن الفكر الخرافي، ومعتمدين على مشروع حضاري ينهض بالمجتمع ويبعده عن قدسية الاشخاص والاولياء وغيرهم، ممن استحوذوا على مخيلة المجتمعات، واستعانوا بذلك على شرعية النص، والذي بقي المصدر الاول والاخير الذي يستحضره العقل البشري، ويحاول تفسيره تفسيراً محدداً بالحقبة التاريخية. اما اليوم فقد تحولت السلفية الموروثة من تاريخ المسلمين الى سلسلة من الفتاوى التكفيرية، والتي تناست ما هو اكبر واكثر الحاحا من مواضيع الاختلاط والفضائيات. لقد فقدت السلفية القديمة ـ والتي هي منهج يتبع ـ قدرتها اليوم في ان ترتفع الى مستوى اعلى، يكرس مفهومها كمفهوم حضاري شامل، عندما تدحرجت الى مستوى اوصلها اليه ضغط السلطة وسقوط العلماء في فخها.

على ايدي هؤلاء العلماء تحولت السلفية اليوم الى اضحوكة للعالم يجترها ويتناقش بها ويستمتع

بفتاواها التي تصدر هنا وهناك، ويتناسى هؤلاء كيف ان سلفية العصور القديمة كانت مشروعا دينيا اكبر بكثير من قضايا جانبية تتعلق بالرجل والمرأة، واستنجدت السلفية القديمة بالنص لتحد من سلطة الانسان وتجاوزاتها ومخيلته الخصبة واهوائه، ولكن اندثر هذا المشروع لحظة ارتباطه بدخلاء جدد دعمتهم السلطة في بداية الامر لتثبيت شرعيتها وليس شرعيتهم، ومن ثم اسقطتهم في متاهات العلاقات الانسانية المتشعبة والمتغيرة، حتى اصبح همهم الشاغل اليوم هو اصدار الفتاوى وتسويقها في سوق كبير فيه من المنافسة والتناحر ما فيه، ولو كان لهم من الوعي الشيء البسيط، لما وقعوا في هذا الفخ الذي نصب لهم بشيء من الحيلة والمناورة. وبدل ان تنمي السلفية مؤسسات مستقلة، تحولت الى بيروقراطية يمسك زمام امرها مسؤولون هم اقرب الى الجهاز الاداري من جهاز فكري، يستلمون معاشاتهم من خزينة الدولة التي حجرت عليهم في زوايا معروفة، ان تجاوزوها سرعان ما يتعرضون لعمليات الفصل والاقصاء.

وهذه نتيجة حتمية لمشروع الدولة، والتي هي في جميع مظاهرها مشروع عنيف، يحاول الحجر على كافة المؤسسات وترويضها لخدمة المشروع السلطوي، بما فيها المؤسسات الاجتماعية والتربوية والاعلامية والاقتصادية.

لن تستطيع السلفية ان تعود لمشروعها الحضاري القديم طالما ظلت ذراعا من اذرع السلطة، بل ان استمرارية الوضع الحالي سيطيح بها كليا ويبعدها عن مشروعها ومنهجها القديم، ولن يجد فيها المسلم القوة التي تمكنه من تجاوز سلطة البشر، بل ان وضعها الحالي سيزج بها في خانة لم تكن يوما ما تطمح له او تتقيد به، وان كانت تطمح في السابق لان تكون هوية شاملة لكيان ديني واجتماعي وسياسي ينهض بالمجتمعات، تتجاوز حدوده حدود القومية والقطرية.. الا انه اليوم تحول الى مساحة محدودة تختزل في طول اللحية وقصر الثوب والهرولة في المشي، إذا ما كان من رموز حديثة التصقت بالهوية الجديدة للسلفيين الجدد من الرجال. اما النساء فاصبحت سلفيتهن برقعاً اسود، وقفازاً مماثلاً.. وهكذا اختزل المشروع الحضاري القديم بين ايدي المنظرين الجدد والذين هربوا من مسؤوليتهم التاريخية كفعاليات كانت المجتمعات تنظر لهم باحترام وتقدير. وتتفرج السلطة اليوم على معاركهم الجديدة التي يخوضونها على الانترنت والفضائيات، وترصد اي زلة قد يقع بها احدهم في امور تتعلق بها وحدها حتى يأتي العقاب على قدر تلك الزلة وبسرعة معهودة.

سينتظر المسلمون اعادة السلفية الى مسارها الاول ومنهجها السابق، ولكن لن يحصل هذا بالسهولة او العفوية، اذ انه يرتبط بتغيير علاقة الدين بالدولة، وهذا ما لم يصله اي مجتمع اليوم، وطالما بقيت السلفية مرتبطة بمشروع الدولة، فستظل تنحرف عن مشروعها الحضاري وهدفها الاول، وهو النهوض بالمجتمعات بعيداً عن السلطة ومشاريعها.

× عن القدس العربي، ٢٠١٠/٣/١

كتب جديدة ضد مخالفي الوهابية

قالت مصادر مطلعة، أن المؤسسة الدينية الرسمية تزمع إصدار سلسلة كتب ضد عدد من رجال الدين المعروفين في العالمين العربي والإسلامي، الى جانب دعاة يظهرون على الفضائيات، ومن بين المستهدفين: الشيخ محمد سعيد البوطي، والداعية طارق السويدان، والداعية عمرو خالد، والشيخ أحمد الكبيسي، والدكتور علي جمعة مفتي مصر، وغيرهم. وقد قررت هيئة كبار العلماء تخصيص مبلغ خمسين مليون ريال ابتداءً لترويج المطبوعات والكتب ضد هذه الشخصيات.

تجدر الإشارة الى أن الأسماء المذكورة أعلاه وغيرها، لها تحفظ على علماء الوهابية ومواقفهم من قضايا الأمة العربية والإسلامية، وقد أبدى بعضهم نقداً واضحاً لعدد من الفتاوى التي تصدر من مشايخ الوهابية، في خطب أو محاضرات أو ندوات، ظهرت على شاشات التلفزيون.

وتقول المصادر، بأن الحكومة السعودية التي عادة ما تتحكم في مسار الفتيا والمطبوعات والمواجهات العقدية/ السياسية مع هذه الفئة أو تلك، رفضت أن تشمل السلسلة مثقفين ورجال الدين سعوديين لا ينتمون الى المدرسة الوهابية، أو الذين تعتبرهم المؤسسة الدينة أنهم تمردوا عليها (اي على الحق والاسلام الصحيح).

ويُعتقد بأن الحملة الوهابية الإعلامية والعقدية التكفيرية، تستهدف نقل المعركة الداخلية الى الخارج، حيث يتعرض مشايخ الوهابية الى نقد واسع داخل المملكة، بل أن هناك ردة على المؤسسة بكاملها، برجالها وعقائدها.

قضاء الوهابية: ٤ سنوات سجن لأب يغتصب ابنته!

قضت المحكمة العامة في الدمام بسجن مواطن (٤٥ عاماً) أربع سنوات بعد إدانته باغتصاب ابنته (١٦ عاماً)(اليوم، ٢٠١٠/٣/٨).

تفاصيل القضية تقول أن معلمة تقدمت بشكوى للجهات المختصة تفيد بقيام ولي أمر طالبة لديها باغتصاب ابنته بالإكراه، وكشفت التحقيقات عن قيام الأب باغتصاب ابنته بالإكراه تحت تأثير المخدرات أكثر من مرة.. وبعد إحالة القضية إلى المحكمة العامة، وبعد إثبات اغتصاب الأب لابنته من قبل تقرير الطبيب الشرعي، أصدر القاضي الحكم بالسجن ٤ سنوات على الرغم من مطالب المدعي العام بتغليظ العقوبة، ما أذهل الحكم المخفف المواطنين والمراقبين.

وكانت صحيفة خليج تايمز قد نشرت في ٢٠٠٨ خبر القبض على قاض وهابي في دبي متلبساً بحيازة وتعاطي الحشيش في أحد فنادق دبي، والقاضي فهد بن حمود بن النايف الحقباني يعمل في ديوان المظالم/ أعلى هيئة قضائية سعودية، وهو استاذ في إحدى الجامعات السعودية، وإمام لأحد الجوامع في مدينة جدة. يذكر ان الفندق الذي اعتقل فيه القاضي مع زوجته المغربية يعتبر من أغلى الفنادق في دبي إذ تصل تكلفة الاقامة فيه لليلة الواحدة إلى عشرة آلاف ريال!

وسبق القبض على هذا القاضي بأيام أن انتشر شريط فيديو لقاض سعودي آخر هو الشيخ حبيب الأصقة، وهو يمارس الجنس مع شغالة أندونيسية! واعتبر الشغالة ملكاً له (ملك يمين)!

خطاب التكفير:

التكفير مع سبق الإصرار والتحدي

محمد بن علي المحمود

يتوهم المتفائلون، بل الشاطحون في تفاؤلهم، أن التكفير الذي يمثل الخلفية الفكرية للإرهاب قد زال بزوال ظاهرة التفجير والتدمير. ارتباطهم بالعيني والمباشر؛ جعلهم ينسون أو يتناسون الخلفيات الفكرية المحفِّزة للعمل الإرهابي. حتى أولئك الذين كانوا يُحاولون مقاربة ظاهرة الإرهاب ولو بالشجب والتنديد، سكتوا؛ عندما خفت دوي الانفجارات، وانحسرت دائرة الاغتيالات الإرهابية. الإرهاب لدى هؤلاء ليس إلا العمل الدامي في الواقع المتعين. أما كل ما يقود إليه بالضرورة، فليس إلا تعبيرا عن رؤية متشددة، لا أكثر ولا أقل، رؤية متشددة لا تؤثر في الواقع!. بل قد يزيد بعضهم أو يزايد؛ فيدّعي أن هذه الرؤية المتشددة: حرية تفكير وحرية تعبير؛ غير مفرّق بين حرية التعبير وحرية التكفير!.

الإرهاب كفكر لا زال مجهولا، ولا زالت هناك عقبات وعقبات تحول دون وضع النقاط على الحروف بالكامل. ومع هذا فقد كنت ولا أزال أصرّ على تتبع السلسلة الفكرية إلى حلقتها الأولى، على الأقل بالتلميح إذا تعذر التصريح، وهو الممكن في الوقت الحالي. إصراري على أن التكفير/ الإرهاب ظاهرة فكرية متمددة بأوسع مما نتخيل!، خالفني فيه كثيرون، خاصة من أبناء التيار الديني الذين (يشجبون) الإرهاب بصدق، ولكنهم يحسنون الظن كثيرا، بل وخالفني فيه حتى غير المتدينين، إذ رأوا أنني أعطي الظاهرة أكثر مما تستحق، وأنه ظاهرة عابرة ستنتهي عما قريب، وكانوا يراهنون كثيرا على صمت كثير من التقليديين وعدم جرأتهم على التكفير، وكنت أراهن على أن هذا الصمت مجرد حالة اضطرار ظرفي.

طوال الفترة الماضية، ولمدة ثلاث وأربع سنوات تقريبا، انقلب خلافي مع من يرون أن التكفير كان ظاهرة محدودة جدا، وأنها تلاشت، وأن رموز التقليد لا يدعموننا ولو بصمتهم، من مجرد خلاف إلى عتاب حاد أحيانا. كانوا يقولون لي: أين هو التكفير الذي تتحدث عنه وكأنه طوفان كاسح ؟. كان جوابي دائما هو الإحالة إلى تلك المقولات الأساسية (التكفيرية) في المنظومة التقليدية التي لم تُراجع بعد، ولا يستطيع أي تقليدي تجاوزها، فضلا عن التنكر لها؛ لأنها ترقت في خطاب التقليد إلى أن أصبحت: بنية عقائدية يستحيل اجتزاؤها من بعضها على مستوى الإيمان، بل وكنت أدعم رؤيتي بأن أحيلهم إلى المقولات السابقة لبعض رموز التقليد الأحياء أو قريبي العهد بالهلاك، أي من المعاصرين، وإلى مؤلفات بعض مريديهم الأوفياء الصرحاء. كانت الإحالة على مقولات صريحة جدا في التكفير، حتى وإن تم تبريرها عقائديا؛ إذ لا تكفير بلا تبرير. لا يوجد تكفيري يقول: أنا أهوى التكفير، أو أنا أمارس التكفير بالهوى، بل كلهم يؤكد أنه لا يُكفر إلى من كفّره الله ورسوله، أي أنه يتعبد الله بالتكفير. ويقول لمن يتهمه بالتكفير: سبحانك هذا بهتان عظيم. يقول هذا وكأنه يمتلك عصمة الفهم وعصمة تنزيل فهمه على الوقائع والأعيان.

أذكر أن أحدهم، وكان ليبراليا حرا، قال لي قبل أربع سنوات تقريبا: لماذا تُكثر الكتابة عن خطاب التكفير ؟ إن خطاب التكفير قد تلاشى بعد أن فضحته الأعمال الإرهابية، صدقني لا يوجد التكفير الصريح إلا عند شواذ المتطرفين، وهم قلة نادرة جدا لا يستحقون حتى التنبيه لخطرهم. عند ذلك، وكخطوة أولى، أحضرت له مقولات التكفير عند بعض رموز التقليدية، وهي أسماء يعرفها جيدا، صمت قليلا ثم قال: هل تعتقد أن هؤلاء لا زالوا يؤمنون بهذه المقولات المتطرفة؟ أجبته: لم يصدر عنهم أي تراجع أو تصويب إلى الآن، ثم إنها مقولات تتسق مع المنظومة التقليدية التي لا يرون أن سواها على الحق المبين. ابتسم وقال: أحيانا يصعب التراجع أو الاعتذار الصريح، خاصة عند أولئك الذين يمتلكون كثيرا من المريدين والأتباع. ولهذا فقد يكون الاعتذار أو التراجع ضمنيا، وذلك بالصمت عن الماضي وتناسيه، صدقني هذا تراجع يجب أن نفهمه ونتفهمه، وإلا لماذا لا يُصرّحون اليوم بهذه الآراء التكفيرية، أنا لم أسمع منهم أي تكفير صريح ؟ أجبته: الظرف الأمني الراهن، حيث فوران بركان الإرهاب، يجعلهم يُحجمون عن الكثير من عقائد التكفير. قال: أنت الآن دخلت في النيات، أنت تبالغ كثيرا.


محمد بن علي المحمود

لم يستطع هذا الصديق أن يصدّق أن الصمت عن التكفير آنذاك، هو: مجرد سكوت ظرفي، ولم أستطع إقناعه أن عقائد التكفير يستحيل تجاوزها بهذه السهولة التي يتصورها، وأن زعزعة منظومة التكفير من قواعدها عمل يحتاج لنقد جذري وشامل وطويل الأجل لمجمل مقولات التقليدية، وليس لجزئية محدودة منها، وأنه لا يُجزئ عن ذلك مقولات الشجب والتنديد والاستنكار!.

لقد غيّر كثيرون رأيهم؛ بعد أن صدرت تصريحات تدعو للقتل أو للتكفير المنهي بالقتل. لقد عذرني من عذلني. كان هؤلاء يحتاجون إلى تكفير صريح وراهن؛ حتى يصدقوا أن خطاب التكفير ليس ببعيد عن مجالهم الثقافي. لقد تغير حتى كثير من المتدينين الطيبين الذين كانوا لا يتوجسون كبير خطر من خطاب التكفير، بل وكانوا يحسنون الظن كثيرا بكل رموز التقليدية. لقد صدموا بمثل البيانات الصريحة التي تدعو للتكفير والقتل. لا زلت أذكر، بعد أن أصدر

أحد التكفيريين فتوى بتكفير بعض المثقفين بأسمائهم، اتصل بي أحد هـؤلاء الطيبين من محسني الظن برموز التقليد، وقـال: هـل من المعقول أن هناك من يمارس التكفير، وعلى هذا النحو الصريح، إنني وبصراحة، كنت أظن كلامك عن التكفيريين كلاما عن أشباح لا يمكن أن ألمسهم بيدي، فإذا بهم ممن أستفتيهم وربما صليت مأتماً بأحدهم!. قلت له: بل هذا هو المعقول، وستأتيك الأيام بالمزيد. لم يطل الوقت حتى صدرت فتوى: قتل ملاك القنوات الفضائية، وكانت صدمة أكبر؛ لاعتبارات كثيرة، ليس هذا مجال تفصيلها؛ وإن كان من المؤكد أن ليس للقيمة الذاتية لمن قال بها أي اعتبار في هذا المجال. آنذاك، ترنح كثير من المتعاطفين مع مقولات التقليدية من هول الصدمة. المدافعون لم يستطيعوا الدفاع إلا بتأكيد الفتوى والاعتذار عنها ببيان اتساقها مع منظومة التقليد، وكان اعتذارا أشنع وأفضح من ذنب التكفير؛ فهم بهذا أكدوا أنها ليست رأيا شاذا في التكفير، وإنما هي تعبير عن خفايا منظومة واسعة لا يجد كثير من

لا يوجد تكفيري يقول: أنا أهوى التكفير، أو أنا أمارس التكفير بالهوى، بل كلهم يؤكد أنه لا يُكفر إلى من كفّره الله ورسوله، أي أنه يتعبّد الله بالتكفير!

أبنائها اليوم الجرأة على كشف كل أوراقها.

صدرت كثير من فتاوى التكفير الصريحة، التكفير الصريح يعلن عن نفسه بكل وضوح. لكن ماذا عنا نحن، هل لا زال هناك من يقول بهامشية خطاب التكفير، هل لا زال هناك من يسأل: من أين يأتي التكفير والإرهاب؟ عندما كنت ألحّ قبل سنوات على خطورة خطاب التكفير، لم أكن أصدر من فراغ. أعرف خطاب التكفير عن قرب، أعرفه بالمعايشة الفكرية وبالمعايشة الاجتماعية منذ سنوات الطفولة الأولى، أعرف آماله وطموحاته، ما يسره وما يحزنه، أفهم معاني همهماته بالليل وهمساته بالنهار، أعرف مقولاته الأساسية والفرعية، أعرف متى يستطيع التنازل ومتى لا يستطيع، أعرف متى يرغب ويطمع ومتى يرهب ويقطع، وأعـرف طرائقه في التفكير الخاص وفي التفكير العام، أعرف تصوراته الكلية عن الحياة وعن الأحياء وعن الدنيا وعن الآخرة، أعرف تياراته وانقساماتها، والخلفيات الفكرية والاجتماعية بل والشخصية لهذه الانقسامات، أعرف ما بينهم من توافق وتعاضد وما بينهم من تضاد، أعرف طبيعة خياراته حتى قبل أن يهمس بالاختيار، أستطيع أن أتنبأ بسلوكياته حتى وهو يُوهم بما ينفي صريح تلك التنبؤات الاستباقية. ونتيجة لذلك؛ تبين لي بوضوح ويقين أن من كل من يدّعي أن التكفير ظاهرة شاذة ومحدودة وعابرة ومحصورة في نطاق ضيق من المجاهيل والأغـرار الخارجين على النسق العام للمنظومة التقليدية، هو بين حالين لا ثالث لهما، إما:

١ـ مُنصهر بحكم النشأة والتربية في خطاب التكفير، بحيث لم يعد يرى القول بالتكفير جريمة تستحق الإدانة، بل ربما رآه (التصريح بالتكفير) تعبيرا صادقا عن الجرأة في الحق، ودليلا على الإخلاص. وهذا نتاج طبيعي للتطبيع بثقافة التكفير. فالتكفيري لا يعتقد أنه بتكفيره يمارس جريمة، بل يعتقد أنـه يمارس نوعا من التعبد لله بأقصى درجات الإخلاص. وليس شرطا أن يكون هذا المنصهر في خطاب التكفير تكفيريا واعيا بحاله، بل الغالب أنه لطول ما سمع من مقولات التكفير، ولكونه يراها تصدر عن رمز يتمسح بمظاهر تقويّة صادقة أو كاذبة، ولكون هذه المقولات التكفيرية مشحونة بالنصوص التي توحي للمتلقي شبه الجاهل بقداسة الفكرة التكفيرية المستنبطة منها، لا يرى فيها ذلك النمط من التكفير الخوارجي الذي يجب التصدي له. يؤكد هذا أن أحدهم، لما عرضتُ عليه بعض مقولات التكفير، قـال: هـؤلاء معهم أدلتهم، لم يأتوا بشيء جديد. وآخـر قـال: نعم هذا تكفير شرعي وليس كتكفير الخوارج بالمعصية. أجبت الأول بأنه حتى الخوارج الذين يعترفون علانية بأنهم خوارج لديهم أدلتهم، بل هم أشد الناس ارتباطا بحرفية النصوص، وهم أكثر من غيرهم استسلاما لها. وأجبت الثاني أن كل تكفيري يرى أن تكفيره شرعي، وأن الخوارج لم يكفروا بالمعصية فقط، بل إن مجمل تكفيرهم كان تكفيرا بلوازم عقائدية يستدلون عليها بواسطة اجتهادهم الخاص؛ كما هي الحال في موقفهم من التحكيم.

إذن، من الواضح أن هذا النوع لا يرى التكفير تكفيرا، بل هو يـراه ممارسة شرعية طبيعية؛ نتيجة اندغامه في خطاب التكفير على مستوى اللاشعور، حتى وإن تمنّع عليه على مستوى الفكر النظري المجرد. ولهذا يتعجب هذا وأمثاله من موقف أغلبية المسلمين (أكثر من ٩٩٪ من المسلمين) منه، وكيف أنهم يتهمونه بأنه ينتمي لمذهب تكفيري خاص. إنه يتعجب، كيف يرى الآخرون منه ما لا يراه من نفسه، ويغيب عنه أن الخوارج في القرن الأول كانوا يرون أنهم جماعة المسلمين، وأنـهم الفرقة الناجية، وأصحاب العقيدة النقية الصافية، وأنهم كانوا يعجبون ويتعجبون من رؤية الناس لهم أنهم أصحاب مذهب تكفيري خاص، مذهب ينفي كل ما سواه، بل ويتشظى على نفسه طوال تاريخ مُزايداته التي لا تنتهي على التشدد والتكفير.

٢ـ المثقف المـدني، الـذي لم يقرأ كثيرا في تراث منظومة التكفير، ولم يعايش المتطرفين عن قرب. وهذا يعتقد أن التكفير شطح في التفكير، اعتنقه بعض الأغـرار؛ صغار السن، بعد أن تم التغرير بهم ببعض الثقافات الوافدة. ومشكلة هـذا النوع من المثقفين أنـه يحسن النية في معظم رموز المنظومة التقليدية، فهو قد يراهم قاصري الوعي، ومحـدودي الاطـلاع، ولكنه لا يعرف طبيعة الترسانة التراثية التقليدية التي يتكئون عليها، بل وربمـا لا يعرف الكثير عن

التكفيري لا يعتقد أنه بتكفيره يمارس جريمة، بل يعتقد أنه يمارس نوعا من التعبد لله بأقصى درجات الإخلاص، وهو يستغرب من اتهامه بالتكفير!

المبادئ الأساسية في المنظومة. وحتى إذا قرأها ففي الغالب أنـه يقرأها بعمومياتها كقواعد عامة، ولا يقرأ شروحها التي تحدد التفاصيل التي يكمن فيها الشيطان؛ ولهذا كانت صدمة هـذا النوع بالفتاوى التكفيرية التي صدرت في السنتين الأخيرتين صدمة كبيرة، واجهها باستنكار واستغراب، وكأنها حراك شاذ خارج النسق. بينما كان العارفون بخطاب التكفير يرونها تصريحا ببعض التكفير الذي طال التكتم عليه، وأن الغرابة ليست في قول من قـال، ولا في تصريح من صـرّح، بل هي في سكوت من سكت، وجبن من جبن، ونفاق من نافق (النفاق السلوكي لا العقدي) ومداهنة من داهن.

وستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً.

عن صحيفة الرياض، ٢٠١٠/٣/٤

وجوه حجازية

(١)
بكر صبّاغ
(١٢٨٦-١٣٣٦هـ)

هو بكر صباغ بن عبدالرحمن بن محمد الشافعي. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم فقرأ على علماء عصره في كثير من الفنون. منهم: محمد سعيد بابصيل، والشيخ أحمد بلخيور، والشيخ عبدالرحمن بلخيور، والشيخ سعيد يماني، والشيخ عمر با جنيد، وأجيز بالتدريس بالمسجد الحرام، فدرّس فيه، وكانت دروسه في الفقه الشافعي، والنحو والتفسير والحديث. وكان صباغ عالماً فاضلاً متواضعاً ملازماً لأداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد الحرام. توفي رحمه الله بمكة(١).

(٢)
محمد بن أحمد الصبّاغ
(١٢٤٣-١٣٢١هـ)

هو محمد بن أحمد بن سالم بن محمد الصبّاغ المكّي. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وطلب العلم فأخذه عن علماء عصره، فقرأ على السيد أحمد دحلان، والشيخ عبدالقادر مشاط المكي المالكي وغيرهما. وكان رحمه الله متفنناً في علم الرمل والأوفاق، مؤرخاً ذا ذكاء وحافظة جيدة، وكان من جملة المطوفين، يتعلق بالحجاج المغاربة. سافر الى المغرب لزيارة حجاجه، وقضاء حاجاته على عادة المطوفين. توفي رحمه الله بمكة.

لـه: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام (موجود بمكتبة الحرم المكي الشريف من مكتبة عبدالستار الدهلوي)(٢).

(٣)
عبدالقادر الصديقي
(١٠٨٠-١١٣٨هـ)

عبدالقادر بن أبي بكر الصديقي الحنفي المكي. شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، أبو الفرج، محي الدين. ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها، فأخذ العلم على علماء مكة المكرمة في عصره، وهم يربون على الستين شيخاً من علماء المذاهب الأربعة ما بين مشايخ الإجازة العامة، والإجازة الخاصة، ومشايخ الأخذ والقراءة عن علماء الحرمين الشريفين ومصر والشام والمغرب والهند واليمن والعراق، وقد ضم أكثرهم في (المناهل الروية في الإجازة العلوية)، من تأليف أحد مشايخه. لازم الصديقي طلب العلم على أبي الأسرار حسن بن علي العجيمي المكي، وتفقه به، وسمع عليه الموطأ والصحيحين، وقرأ عليه في المعاني والبيان، وعرض عليه كثيراً من الكتب كالمطول والأطول وغيرهما من الحواشي والشروح، وحضر دروسه في التفسير، وأجازه لفظاً وكتابة. جُمعت له من الوظائف الدينية المكية والمناصب الشريفة السنيّة في الحرم المكي ما لم يعرف اجتماعه في شخص قبله قط. جمعت له بين خطابة المشاعر، والخطابة والإمامة بالمسجد الحرام، ونظر الصدر والتدريس والإفتاء. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: تبيان الحكم بالنصوص الدالة على الشرف من الأم؛ قطع الجدال بتحقيق مسألة الإستبدال؛ تحقيق البيان في حكم صدقة رمضان؛ مراجعة بعض الأعلام فيما كتب لترجيح قول بعض النظام؛ تنبيه أخوان الصفا على صحة توكيل الكفيل بأن يعقد مع المديون بيع الوفا؛ الإفادة لحكم من لم يصل ولم يزك وقد ادى الشهادة؛ منهل الواردين على قوله تعالى: (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين)؛ القول الأجلى في الكلام على (وأما من هوى ليلى)؛ والأجوبة المهمة لما سئل عنه معاوية وغيره وأجاب عنه علي وحبر الأمة؛ الجواب المسدّد على أسئلة الجمالي محمد؛ فتح الخلاف في جميع فرق الفسخ والطلاق؛ الإبانة للأحكام المبانة؛ تجهيز التحرير في أحكام العتق والتدبير؛ العج والثج في شرائط الحج؛ ما عليه المعول في أحكام المحكم والمؤول؛ رسالة تتضمن تحرير جواب عن سؤال متعلق بالوقف والتصرف فيه؛ رسالة تتعلق بناسخ القرآن العظيم ومنسوخه؛ الفتاوى الفقهية - ثلاثة مجلدات؛ التذكرة الفقهية؛ التذكرة الأدبية؛ إتحاف الأكابر بمرويات الشيخ عبدالقادر؛ إسم فهرس بمروياته جمعها الشيخ هاشم بن عبدالغفور السندي التتوي في مجلدين(٣).

(١) عبدالله مرداد أبو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ١٤٦. وعمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٨٢. وفيه ولادته سنة ١٢٧٦هـ، ووفاته سنة ١٣٣٧هـ.

(٢) عبدالله ابو الخير، مصدر سابق، ص ٤٥٢. وعبدالله بن محمد غازي، نظم الدرر، ص ٢٥٦.

(٣) عبدالله ابو الخير، مصدر سابق، ص ٢٦٤. وعبدالله غازي، ص ٨٥؛ محمد خليل المرادي، سلك الدرر، ج٣، ص٤٩. وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ٥، ص ٢٨٥. وإسماعيل البغدادي، هدية العارفين، جـ١، ص ٦٠٣. وأخيراً عبدالحي الكتاني، فهرس الفهارس، جـ١، ص ١٧١.

حجّة وبيع سُبَح!

مي يماني

في إطار مساعيه الرامية إلى ترسيخ الاستقرار في بلده، كان الرئيس الأفغاني حامد قرضاي يرتدي عباءة بيضاء حين وصل إلى مكة فيما لا نستطيع أن نصفه إلا بـ (الحج الدبلوماسي). ورغم أن قرضاي أمضى بعض الوقت بلا شك في الصلاة في أقدس المواقع الإسلامية، فإن مهمته كان المقصود منها إثبات ما هو أهم من تدينه.

ما هي إذاً المكاسب الدبلوماسية أو المالية التي يسعى قرضاي إلى تحقيقها؟ ولماذا يسافر إلى السعودية في اللحظة التي بدأ فيها التصعيد العسكري؟ وهل تستطيع السعودية أن تلعب دوراً جاداً في حل الصراع الدموي المتزايد في بلاده؟

تستطيع السعودية أن تلعب بورقة الإيديولوجية الإسلامية المتشددة، والتي تتقاسمها معها حركة طالبان. والواقع أن السعوديين، كانوا يتولون رعاية المدارس الدينية التي تعلم فيها أعضاء حركة طالبان قبل مسيرتهم إلى السلطة في تسعينيات القرن العشرين. ثم إن السعوديين يملكون أيضاً النفوذ الاقتصادي اللازم لإغواء وكبح جماح حركة طالبان. ونظراً لتواجد السعوديين أثناء تأسيس حركة طالبان فإنهم يعرفون كيف يتحدثون مع قادتها. وفضلاً عن ذلك فإن السعودية راغبة على نحو متزايد في استخدام مكة كمنبر لمحاولة حلّ النزاعات السياسية الإقليمية. ويبدو أن النظام السعودي لم يدرك إلا منذ فترة بسيطة ذلك القدر العظيم من القوة الناعمة الذي توفره له وصايته على مكة المكرمة والمدينة المنورة ـ الموقعين الأكثر قداسة في الإسلام. ولقد أصبحت مكة المكرمة بالفعل موقعاً قوياً لعقد مؤتمرات القمة السياسية وأداة للوساطة، إن لم يكن لاستغلال أجهزة الإعلام.

ففي أكتوبر ٢٠٠٦، استضافت مكة المكرمة المحادثات بين الفصائل الطائفية العراقية المتحاربة. وفي فبراير ٢٠٠٧ تم تأسيس حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية التي لم تدم طويلاً نتيجة لقمة عقدت في مكة. وفي ديسمبر ٢٠٠٧، أدى الرئيس الإيراني نجاد فريضة الحج بدعوة شخصية من الملك عبد الله. وفي أكتوبر ٢٠٠٨ عقدت المملكة محادثات وساطة بين طالبان والحكومة الأفغانية تلبية للطلب الذي تقدم به قرضاي إلى الملك عبد الله، الذي وصفه قرضاي بأنه (زعيم العالم الإسلامي). واليوم يستغل النظام السعودي مكانة مكة المكرمة بين المسلمين بطريقة محسوبة مصممة للتأكيد على مكانة المملكة البارزة بوصفها (الدولة القائدة) في العالم الإسلامي. وهذا من شأنه أن يُذَكّر المنافسين العرب من السُنّة مثل الهاشميين في الأردن ومصر بأن السعودية لا تزال تشكل القلب الإيديولوجي للإسلام.

القوة السعودية الناعمة تمتد إلى ما هو أبعد من الوصاية على المدينتين المقدستين، ذلك أن الدبلوماسية السعودية تحظى بدعم خاص من أضخم احتياطيات نفطية على مستوى العالم. وهذا من شأنه أن يساعد قادة طالبان على قبول المفاوضات ـ بل وربما حتى نبذ العنف ـ إذا تم توظيف الأموال السعودية في خلق حياة جديدة لمقاتليهم.

وتشكل الجهود السعودية في أفغانستان خطوة أساسية في إطار (تبييض وجه) المملكة، واستعادة سمعتها، خاصة في امريكا، التي لم تنس أن أغلب مختطفي الطائرات في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كانوا سعوديين، وأن السعودية فشلت في التعامل مع حركة طالبان قبل تلك الهجمات. لقد سبب سقوط حركة طالبان إحراجاً للنظام السعودي، لأنه كان قد اعترف بها في عام ١٩٩٧ ووفر لها الدعم الإيديولوجي والمالي.

ورغم التوترات التي بدأت تتراكم في العلاقات الثنائية بين حكومتي الطالبان والرياض بداية من عام ١٩٩٨ نتيجة لرفض طالبان تسليم أسامة بن لادن إلى السعودية (بلده الأصلي)، فإن المملكة كانت تأمل في أن تتمكن دبلوماسية الدولارات النفطية من حل هذه المشكلة. حتى أن السعوديين وجهوا الدعوة إلى مسؤولين من طالبان ـ بمن في ذلك الملا عمر ـ لأداء فريضة الحج. ولقد أدى محمد رباني، رئيس وزراء طالبان، فريضة الحج بالفعل في ذلك العام، ولكن حكومته لم تسلم بن لادن.

إن محاولة إعادة تأهيل طالبان، تخدم غرضاً استراتيجياً مهما للسعودية. فقد عانت الأخيرة من صعود الشيعة في العراق المجاور، وهي حريصة على الحفاظ على التفوق السُنّي في الأراضي الإسلامية الواقعة إلى الشرق. ورغم ذلك فإن النفوذ السعودي انحدر في أفغانستان في ظل حكم قرضاي منذ عام ٢٠٠١، في حين تعزز نفوذ الإيرانيين.

كانت ازدواجية المشاعر السعودية في التعامل مع قرضاي، على الرغم من كونه سُنِّياً مسلماً، واضحة تمام الوضوح أثناء الزيارة التي قام بها إلى المملكة. والواقع أن الملك عبد الله أرسل أحد صغار الأمراء لمرافقة قرضاي في مكة، وهي إهانة دبلوماسية مدروسة. والسؤال المهم بالنسبة للسعوديين الآن هو كيف يدعون حركة طالبان إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات. والواقع أن أفضل أمل قد يمكنهم تحقيقه في هذا السياق سوف يكون في باكستان، التي تنظر إلى أفغانستان على نفس النحو الذي تنظر به السعودية إليها، ولكن في وجود الهند بدلاً من إيران كمنافس على النفوذ. ونظراً لاعتقاد إدارة أوباما بأن باكستان تشكل أهمية أساسية لأي حل في أفغانستان، فربما وضع السعوديين رهانهم في المكان الصحيح باختيار شريك دبلوماسي لتحديد لعبة النهاية.

لا يفصلنا عن وعد أوباما بسحب جزء من القوات الأميركية سوى ١٧ شهراً، ومن الواضح أن الاستراتيجية الغربية تسعى إلى الفصل بين طالبان (الطيبة) وتنظيم القاعدة (الشرير). ولكن نظراً لسجل السعودية في دعم التطرف في أفغانستان، فمن المستبعد أن تنجح في المساعدة في تأمين هذه الغاية.









(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسربت الى إبتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حباه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).





(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد.



من يتآمر على الآخر؟!

وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة)، وبحسب الصحيفة فإن



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّة!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها؛ جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى



مفتاح الكعبة المشرفة (٥٧٧هـ / ١١٨١م)